

2023
فائز بتحدي
التأليف السريع AR10

منهجية التفسير القرآني

بين التوجه التجميدي، والتوجه التجديدي

د. خالد إبراهيم المحجوبي



منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي



إصدارات منصة أريد العلمية

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

د. خالد إبراهيم المحجوبي
جامعة صبراته

1445 هـ - 2024 م

منهجية التفسير القرآني بين التوجه النجمي، والتوجه التجديدي

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

1445 هـ - 2024 م

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: منهجية التفسير القرآني بين التوجه التجميدي، والتوجه التجديدي

د. خالد إبراهيم المحجوبي

مقاس الكتاب: 7" * 10"

عدد الصفحات: 97

المدقق اللغوي: الدكتور فوزي هذلول

التنسيق الفني: عدنان قلعه جي

رقم التسجيل الدولي ISBN :



arid.my | info@arid.my

رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصق أريد العلمية
www.arid.my



جامعة أريد الدولية
university.arid.my



أكاديمية أريد لعلوم الفضاء
falak.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



القرية العلمية
sci-village.com



أبصر فايزر للمخيمات الافتراضية
www.abservisor.com



منصق الفاتحة
www.fatiha.id



منصق أبناء العلماء
sos.arid.my



منصق قادرة
www.qadirah.com



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابت فليسي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

تقديم منصة أريد العلمية

الحمد لله الذي أنزل كتابه، ولم يجعل له عوجاً، وجعل السماء سقفاً وبروجاً، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله للعالم بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فقد نظمت منصة أريد العلمية، التي تعد بمثابة منارة العلم والمعرفة، "تحدي التأليف السريع خلال 24 ساعة" للفترة من 1 إلى 3 تموز 2023م. تأتي هذه المبادرة في إطار جهود المنصة لتحفيز الكتاب والمفكرين على الإبداع والتميز في مجال التأليف والنشر العلمي. وقد شهد الحفل الختامي للمحفل العلمي الدولي الثالث عشر، الذي انعقد يوم 3 نوفمبر 2023م، إعلان النتائج المثمرة لهذا التحدي الفريد.

يُسلط هذا الكتاب الضوء على مواضيع مهمة ورئيسية في مجال التفسير القرآني، مستكشفاً الفروق والتفاعلات بين التوجهات التجميدية والتجديدية في تفسير النص القرآني. ينقسم الكتاب إلى مقدمة تُعرف بمفهوم التفسير والتأويل، ويتبعها ثلاثة فصول تناولت بالتفصيل المنهجيات المختلفة للتفسير، الموارد المتاحة للمفسرين، وكيفية التعامل مع النصوص القرآنية في ظل التوجهات المختلفة.

إن جهود المؤلفين والقائمين على هذا العمل تُمثل خطوة مباركة نحو تعزيز الفهم العميق والتحليل المنهجي للنص القرآني، مما يُعد إضافة قيمة للمكتبة الإسلامية والفكرية على حد سواء. نسأل الله -تعالى- أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به القارئ والباحثين، وأن يكون منارةً يُضيء دروب العلم والمعرفة.

د. سيف السويدي

رئيس منصة أريد العلمية

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بعظمته، والصلاة والسلام على من أرسله رحمةً لأُمَّته، وعلى آل بيته وصحابته.

يمثل القرآن الركيزة الأساسية في أساسات الديانة الإسلامية، فهو المهمل الأساسي والمركزي لاستقاء حقائق ومفاهيم وتعاليم ومطالب الإسلام.

كما أن التراث الإسلامي العربي -أغلبه- لم يرق إلى أعلى أكتاف النص القرآني المجيد، وهذا ما نلقاه ماثلاً في كتب الفقه بمذاهبها، وكتب التفسير بمناهجها، وعلوم القرآن ومباحثها، ثم كتب الفلسفة وأفرقتها، وكذا كتب الأدب واللغة بشواهدها، واعتضاد واعتماد كل أولئك على أحكام، ولغة، وأمثال، وقصص القرآن.

وليس يغيب عنا أن الأدب بأجناسه وصوره قد تأثر وتوجّه على المستوى اللغوي، والأخلاقي القيمي بالقرآن؛ وهذا مما دعا بعض مؤرخي الأدب إلى وضع قسم منه تحت اسم الأدب الإسلامي، ثم ظهور ما عرف بأسلمة الأدب، على رغم كون الأدب في أصله منتجاً إنسانياً إبداعياً غير خاضع لدين، أو عرق، أو جنس.⁽¹⁾

لقد طلب الله - تعالى - من المؤمنين تحقيق التدبر في القرآن، بعد مرحلة السماع والإنصات؛ ولم يحدد منهجاً مخصوصاً لذلك التدبر. فلم ينص على استبطان النص، ولا استظهاره، ولا تفكيكه، ولا تركيبه، ولا تشريحه، ولا ترميزه، ولا تأويله. إنما طلب التدبر المعادل لمعنى التأمل المركّز بطبيعة عقلية فطرية سمحة، لا تكلف فيها ولا تكلس، تحت أضواء النصوص النبوية، ودلالات اللسان العربي. فهي عملية تدبر غير غائمة، ولا عائمة، ولا عادية، ولا عادية.

هذه كلها أوصافٌ حالاتٍ لو أصابت النص المجيد لحولته إلى شظايا معنوية يحوطها التناقض، ويلفها الغموض على النحو الذي حققته كثيرات من التفاسير القرآنية العائلة عن سواء السبيل.

وقد شكوا الواحدي من نحو هذا الحال حين قال عن أوضاع الناس مع القرآن في عصره ((أما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً، ويخلق إفكاً وكذباً ؛ ملقياً زمامه إلى الجهالة))⁽²⁾.

(1) الفكر الديني عند النهوم - خالد إبراهيم المحجوبي- مجموعة النيل العربية. القاهرة. ط1-2010-ص33.

(2) أسباب النزول. للواحدي 1\2.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

سأعمد في هذا الكتاب إلى تشخيص التوجهات التفسيرية، ثم توجهات العلماء والمفكرين من حيث نظرتهم إلى الحصيلة التفسيرية، والتراث التفسيري بما انضمّ عليه من تفاسير متباينة الموارد والسواقي، سأعرض لكل ذلك منتهجاً المنهج الاستقرائي الوصفي، مشفوعاً بالمنهج النقدي، في سياق تقويمي تقيمي .
ملاحظة: لقد اكتفيت عن وضع مسرد للمصادر والمراجع بما أثبتته منها في الحواشي السفلية طوال صفحات الكتاب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

-كتبه: خالد بن إبراهيم المحجوبي

صرمان – ليبيا

2023-7-3م

التمهيد

القرآن بين التفسير والتأويل

إن أهم مصطلحين في عالم استكشاف واستغوار القرآن هما: التفسير، والتأويل. وقد أحاط بهما خلط، وخلاف دلالي؛ من مباعثه عدم انضباط دلالة كل منهما في الزمن الأول من تاريخ التفسير القرآني حيث كانا يستعملان مرة بمعنى واحد، ومرة بمعنيين، وأخرى بأكثر من معنيين.

إن كلا منهما – أعني التفسير والتأويل – يمثل منهجاً إجرائياً لمقاربة وبيان المعاني المودعة وسط النص القرآني المجيد، كما أن كلاهما في مسيرته الطويلة قد تعرض للتجميد، والتجديد.

أما التجميد فقد أفقدهما الفاعلية، وأما التجديد فقد جاء على صور غير متساوقة من حيث النفع والجدوى، فليس كل تجديد نافع، ولا كل تجديد ضار إنما الضرر والنفع في الفحوى وما تقتضيه من نتائج، لا في الجودة الزمنية بذاتها، أو التأخر الزمني بذاته.

أولاً - التفسير:

من الناحية اللغوية، نلقى أن كلمة التفسير راجعة إلى القَسْر، وهو في لغة العرب يعني: ((الإِبَانَةُ وَكَشْفُ الْمُغْطَى كما قاله ابن الأعرابي أو كَشْفُ الْمَعْنَى الْمُعْقُولِ ... كالتفسير. والفِعْلُ كضَرَبَ وَنَصَرَ يقال: فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ وَيَفْسِرُهُ وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ. قال ابن القطّاع والتشديد أعم. والفَسْرُ أيضاً: نَظَرُ الطَّيِّبِ إِلَى الْمَاءِ كالتفسير، كَتَدْكِرَةُ، أَوْ هِيَ أَي التَّفْسِيرَةُ: البَوْلُ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْمَرَضِ))⁽¹⁾ ومن استعمال التفسير بمعنى الإيضاح والإبانة قوله تعالى {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}⁽²⁾ أي أفضل وأبلغ في التوضيح والإبانة.

(1) تاج العروس للزبيدي. مادة (فسر) 3345.

(2) سورة الفرقان. 33.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وبهذا المعنى ورد قول ابن فارس ((الفاء والسير والراء كلمة واحدة، تدل على بيان الشيء وإيضاحه))⁽¹⁾

أما في الاصطلاح : فقد تنوعت ألفاظ التعاريف الموضوعية للتفسير ما بين موجزة ومطولة ، ودقيقة ، وغير دقيقة تخلط علوماً أخرى بعلم التفسير. لكن أكثرها يؤدي إلى معنى واحد مع إضافة بعض العناصر أو حذفها. من ذلك تعريف أبي حيان الأندلسي قال في البحر المحيط: ((علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمت لذلك))⁽²⁾.

كذلك ما أوجاه السيوطي من نقل نسخ شبه حرفي لتعريف أبي حيان ((هو العلم الذي يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الانفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك))⁽³⁾ وقال الجرجاني هو ((توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة))⁽⁴⁾.

نلاحظ في تعريف أبي حيان إدخاله لعلم التلاوة المختص بكيفية النطق بألفاظ القرآن، ضمن تعريفه للتفسير، وهذا مثال على التوسع في إدخال بعض العناصر كما ذكرت قبل قليل. ونحوه تعريف الجرجاني الذي أدخل فيه أسباب النزول ضمن تعريف التفسير. رغم كونه مبحثاً خاصاً له أصوله وكتبه الخاصة. مع التسليم بأن أسباب النزول من مشتملات تفسير القرآن ، وهو معين على فهم كثير من الآيات ذوات الأسباب رغم قلتها ، دون غيرها من غير ذوات الأسباب وهي الأغلب والأغزر .

(1) معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. مادة (فسر)

(2) البحر المحيط. 26/1

(3) الإتيقان 382/2

(4) التعريفات للجرجاني ص 22

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وبعيداً عن الإطالة والاستعماق أقترح للتفسير هذا التعريف الموجز. فأقول: هو إيانة مراد الله تعالى، من كلامه القرآني، بكشف الدلالات المودعة في كلماته وتراكيبه.

تحرّج وتحرّز الأسلاف عن التفسير:

شاع بين كثير من السلف الكرام تحرجهم عن الاقتراب من تفسير القرآن، وتهيبهم القول في آياته. ومن أشهر ما ورد من ذلك ما ساقه الطبري في تفسيره:

((قال ابن أبي مليكة: سُئل ابن عباس عن آية، لو سُئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

وجاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن فقال له: أحرّج عليك إن كنت مسلماً، لما قمت عني.

وقال يزيد عن أبي يزيد: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع.

وقال عبيد الله بن عمر: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظّمون القول في التفسير. منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.⁽¹⁾

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيد السلماني عن آية من كتاب الله فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن. فاتق الله وعليك بالسداد.

(1) انظر هذه الأقوال وغيرها في تفسير الطبري: 1: 93-77.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وقال مسلم بن يسار: إذا حدثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده. وعن إبراهيم النخعي قال:

كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه.

وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها. ولكنها الرواية عن الله.

وقال مسروق: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله ((⁽¹⁾).

وليس يقتضي ذلكم التوقي والتحرج عن التفسير أنهم تركوا التفسير، أو هجروه، أو أنه قل في زمنهم، بل إن المرئي أن التفسير في عهد التابعين وتابعيهم قد انبسط، وشاع، حتى صارت تفاسير التابعين ومن سبقهم ومن تلاهم موثلاً مرجعياً للتفاسير التي تلتها إلى يوم الناس هذا.

وقد قدم الطبري تقسيماً ثلاثياً لصنوف التفسير القرآني:

- قسم لا سبيل إلى الوصول إليه: وهو ما استأثر الله بعلمه، وهو ما سوف يأتي في آخر الزمان. مثل وقت طلوع

الشمس من مغربها، ووقت نزول عيسى عليه السلام، ووقت قيام الساعة.

2- قسم خص الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - بعلم تأويله، وذلك مثل بيانه العملي للمقصود من آيات الصلاة

والصيام والزكاة والحج؛ تبعاً للوظيفة التبيينية للنبي، وذلك بمقتضى قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)⁽²⁾. وكذا قوله جل وعز: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)⁽³⁾.

(1) تفسير الطبري: 1: 93-77.

(2) سورة النحل: الآية 44.

(3) سورة النحل: الآية 64.

3- ما كان علمه عند فصحاء العرب وأقحاحهم، وهو بيان معاني القرآن ووجوه إعرابه . (1)

التأويل:

يؤوب التأويل إلى الجذر (أول) و أشهر تصريفاته : آل ، يؤول، أولاً . بسكون الواو. ورد في لسان العرب ((الأولُ:

الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً : رجع)).(2)

وقد وقع استعمال لفظ التأويل وبعض تصريفاته في القرآن في مواضع كثيرة بعضها يحتمل معنى التفسير على نحو غير قطعي، وبعضها يحتمل معنى العاقبة والمصير، والمرجع والمآل. وليس يتسع المقام هنا لبسط القول في تلكم الآيات ودلالاتها. لكن حسبنا الإشارة إلى أهمها: قال تعالى {وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم}(3). وقال {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله...}(4)

وقال {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله}.(5) وقوله {ويعلمك من تأويل الأحاديث}(6). وقال عز وجل {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله}(7).

كما أسلفت لقد وقع خلط بين مفهومي: التفسير، والتأويل ، حتى إن بعض أهل المعاجم ، ذكر من معاني التأويل والتأويل التفسير ، حيث قال ابن منظور ((أوله وتأوله : فسره)) (8) ولا أعلم لهذا أصلاً في لغة العرب على

(1) انظر مقدمة الطبري: 1: 92.

(2) لسان العرب. ابن منظور. مادة (أول).

(3) آل عمران. الآية 7

(4) الأعراف 53.

(5) يونس 39.

(6) سورة يوسف. 6

(7) يوسف 37

(8) لسان العرب أول .

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

مستوى الوضع الأصلي لدلالة الجذر أول . إنما هو بتأثير الدلالة الاصطلاحية التي جعلت من التفسير والتأويل اسمين بمعنى واحد ، ودلالة واحدة عند بعض العلماء ، خلافاً للجمهور الذين فصلوا بينهما دلاليًا على المستوى الوضعي، والمستوى الاصطلاحي جميعاً.

كذلك يبعد ما ذهب إليه بعضهم من أن من معاني التأويل السياسة. وأنه مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، وقد ورد عند الزمخشري في أساس البلاغة ((آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وائتالها، وهو مؤتال لقومه..أي سائس محتكم)).⁽¹⁾

وقد حاول بعض العلماء وضع تفريقات بينهما، بعد أن كانا مستعملين بمعنى واحد؛ حتى استقر الرأي على إنيهما تمايزان وظيفياً ودلاليًا. ففي القرون الأولى كان علماء التفسير يستعملونهما بمعنى واحد ومن هذا ما يكثر في كلام الطبري من مثل قوله ((القول في تأويل قوله تعالى..)) ثم يورد تفسيره للآية، وقوله ((اختلف أهل التأويل))⁽²⁾ يعني المفسرين. وكذلك جعل عنوان تفسيره (جامع البيان عن تأويل أي القرآن). أي تفسيره.

وعند تفسير قوله تعالى { وما يعلم تأويله إلا الله } قال أبو عبيد معمر بن المثنى: ((التأويل : التفسير))⁽³⁾

ونحو ذلك منقول عن أبي العباس ثعلب قال ((التأويل ، والمعنى ، والتفسير : واحد))⁽⁴⁾.

وقد طال وامتد مبحث التفريق بينهما ووجوه التفريق ، وليس استتباع ذلك داخلًا في أغراض هذا المسطور ، فسنعرض عن الانبساط فيه . ونستغني بذكر كلام الزبيدي حين قال في هذا ((التَّفْسِيرُ كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ

(1) -أساس البلاغة . الزمخشري. مادة (أول).

(2) - ينظر تفسير الطبري. في مواطن كثيرة .

(3) - مجاز القرآن 1/ 86

(4) - ينظر لسان العرب مادة أول .

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

المشكل . والتأويل : ردُّ أحدِ المُحتمَلينِ إلى ما يُطابقُ الظاهرَ ... وقيل : التفسيرُ : شَرْحُ ما جاءَ مُجملاً من القصص في الكتاب الكريم وتعريفُ ما تدلُّ عليه ألفاظُه الغريبةُ وتبيينُ الأمورِ التي أنزلتْ بسببِها الآي . والتأويلُ : هو تبيينُ معنَى المُتشابهِ . والمُتشابهُ : هو ما لم يُقَطَّعْ بفَحْوَاهُ⁽¹⁾.

وقد استقر في استعمالات أغلب العلماء التفريق بين دلالة التفسير والتأويل ، وصار التأويل يطلق ويراد به صرف اللفظ عن ظاهر معناه ، إلى معنى لا يدل إليه ظاهر اللفظ أصالة. وهذا تعريف أقترحه. ففيه الإيجاز وإبانة المقصد عن قريب.

وليس يغرب عنا أن للتأويل بواعث تدفع إلى تبنيه منها التنزه عن المعنى الظاهر، أو تعارضه مع ما ثبت بأدلة أخرى .

ولن نطيل هنا في هذه الجزئية لوضوحها وقلة الخلاف في شأنها بين الباحثين، بعد الاستقرار النسبي الذي شهدته دلالة كل من التفسير والتأويل في ساحة الدراسات الإسلامية.

في إطار النص القرآني المقدس جاء التأويل منبعثاً بدافع ملحٍ هو تحقق وجود المتشابه في القرآن مما صرح الله بوجوده في قوله {... منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات}^{(2)*}.

(1) - تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي 1\3345 . وللتوسع ينظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور. 16/1 وما قبلها. و(الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن): دراسة ونقد. أحمد محمد الفاضل. دار الفتح للدراسات والنشر. الأردن. ط1. 2017م ص 512 وما تلاها.

(2) (*) سورة آل عمران. الآية 7. هنا يجب التفريق بين المتشابه الذي نتكلم عنه الآن وبين ما يسمى في علوم القرآن علم المتشابه، المراد به الآيات الواردة متشابهة في نظمها وكلمها ، وقد أفرد لذلك تصانيف منها ما كتبه الكسائي والكرماني ، والرازي. انظر ذلك مفصلاً في (البرهان في علوم القرآن) للزركشي 112/1.

ثم قوله {وما يعلم تأويله إلا الله} ^{(1)**}. وفي هذا إشارة إلى أن التأويل متأصر مع المتشابه بعلاقة ثبوتية.

والمتشابه هو اللفظ الحامل معنى غير جلي؛ مما يجعله مجالاً للاختلاف الفهمي ، وذلك ما استتبع وقوع ما عبر

عنه الشاطبي بقوله: ((تسلط التأويل على التشابه)) ⁽¹⁾ ⁽²⁾.

لكن الذي حدث كان إلى مسار آخر ، حيث امتد نفوذ التأويل إلى ساحة المحكم أيضاً ⁽³⁾، وهذا مسلك انحرافي

خطر في سياق جدلية النص والمتلقي ، بل في علاقة الله والإنسان، وهذا ما سماه الدهلوي ((الاحتيال لدفع

الدلائل القرآنية)) ⁽⁴⁾.

وقد تولى تثبيت وتنظيم هذا الانحراف بعض الفرق الإسلامية الغالية ، التي كان أشهرها : الإسماعيلية ،

والعلوية، وغلاة الصوفية النظريين، والبهائية، ثم ثلثة من ممثلي التيار التجديدي-المنفلت- للفكر الديني أمثال :

الصادق النيهوم ، ومحمد شحرور. تطبيقياً . وكذا على مستوى التنظير برز نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون .

فضلاً عن كثير من المتطفلين على الساحة القرآنية المستباحة . فنصر أبو زيد-وهو من أهم من تكلم من الحدباء

(1)** سورة آل عمران. الآية 7.

(2) (الموافقات في أصول الأحكام) أبو إسحاق الشاطبي. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 99/3. ثم ذكر ما يراه من شروط ثلاثة

يجب توفرها في المؤول به. ويعرف علماء القرآن المتشابه بأنه: ما خلا من الدلالة الراجحة على معناه انظر في ذلك: (أقاويل

الثقات) للكرمي ص 49. وتفسير البيضاوي. تحقيق: عبد القادر عرفات. دار الفكر. بيروت. 1996. عند تفسير الآية السابعة من

سورة آل عمران. 7/2. وينظر (المنخول ..) للغزالي. تحقيق: محمد حسن هيتو. دار الفكر. دمشق. ط 2. 1400. ص 170

وما يتلوها وكذا كتابه (المستصفي) تحقيق: محمد عبد السلام. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1. 1413. هـ. ص 85

(3) - يعرف بعض علماء القرآن المحكم بأنه ((ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً)) انظر (الفصول في الأصول) أحمد الجصاص وزارة

الأوقاف الكويت 1405 هـ . ط 1 . 373/1. وتفسير البيضاوي 7/2. ويعرف الفراء المتشابهات بأنها الحروف المقطعة فحسب.

انظر رأيه هذا في كتابه (معاني القرآن) تحقيق: أحمد يوسف. ومحمد النجار. دار السرور. بيروت. 190/1. ونحوه في رواية

الطبري عن جابر بن رثاب. وهو رأي أبي الحسن الواحدي. ينظر (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للواحدي 199/1. وهو رأي

ابن حزم في كتابه (النبهة الكافية) ص 55.

(4) - (الفوز الكبير في أصول التفسير) ولي الله الدهلوي. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة. ص 38

في التنظير للتأويل المفتوح المنفلت- يعد التأويل هو زبدة النظر في القرآن، حيث يرى أن علوم القرآن والتفسير (تعد مرحلة تمهيدية للمرحلة الأهم: مرحلة التأويل التي تصبح مرحلة استنتاج⁽¹⁾).

أما أركون فقال عن النص القرآني إنه ((لا يمكن اكتناؤه إلا بالتأويل؛ فهو نص التأويل بامتياز)).⁽²⁾ إن تقرير مثل هذه النتائج هي محاولة للتنصل من مقتضيات الدلالات التفسيرية الجلية الخارجة عن نطاق قناعة، ورضاء الضائقين بها، وبالتشريع القرآني .

وقد سبق التأويل إلى مراكز القواعد العامة، والأصول الثابتة للدين، برغم توكيد أكثر العلماء على أن التشابه المستجلب للتأويل ((لا يقع في القواعد الكلية، وإنما يقع في الفروع الجزئية)).⁽³⁾

ولقد ضرب هذا الانحراف التأويلي قواعد اللغة وضوابط التأويل ضربة مُقصية تتمثل دوافعها في أمور أهمها: إما مرجعيات غنوصية، أو انحرافات عقدية، أو شذوذات فكرية، سواء الشذوذات المُغرصة، أو البريئة. وقد أوصل كل ذلك إلى حالة من الاضطراب في الشريعة، والتشتت التنافري بين الطوائف والأفرقة في الإسلام؛ وهذا ما جعل ابن القيم يقول: ((فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل، الذي لم يُرْده الله ورسوله بكلامه)).⁽⁴⁾

(1) - انظر للتوسع في رأيه كتابه . مفهوم النص ص 224 وما تلاها.

(2) - نقلاً عن: الإنسان والقرآن . حميدة النيفر. ص133. وللإطلاع على بعض تطبيقات أركون الترميزية والتأويلية ينظر كتابه: القرآن من التفسير الموروث، إلى تحيل الخطاب الديني . ص145 وما تلاها ف قراءته لسورة الكهف

(3) - (الموافقات ...) للشاطبي 3/58-59.

(4) - (إعلام الموقعين...) ابن القيم 4/216. وعن دور التأويل في اضطراب الشريعة وتشتت الأمة ينظر مقالته ابن رشد في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) تحقيق: مصطفى حنفي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1. 1998. ص208. وقد عرض-علاجاً لذلك-قانوناً مركزاً للعملية التأويلية ينظر ص205 وما بعدها= من الكتاب المذكور. كذلك ينظر نقوده لإشاعة التأويل وعدم الدقة في تطبيقه ما كتبه في (فصل المقال...) ص121 وما بعدها، وص149 وبعدها. كذلك أشار إلى تلك النتيجة المذكورة في المتن أعلاه، ابن القيم في (إعلام الموقعين...) 4/251

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

ولما ظهرت هذه الأدواء عمل بعض العلماء على وضع عواصم وقائية للحؤول دون توظيف التأويل لأوطار غرضية زائفة وضارة.

ضوابط الإجراء التأويلي :

ولقد تمثلت تلك العواصم الوقائية في بعض الأشرط والضوابط المنظمة للتطبيق التأويلي ، كان أهمها 1: (*)

1- أن يكون لأي رأي تأويلي وجه ومسند في لغة العرب.

2- أن لا يُصار إليه إلا لضرورة ، كتعارض العقل مع النقل ، أو احتمال النقل تفسيراً غير لائق بالذات الإلهية المقدسة .

3- أن لا يشاع في الكتب الجمهورية، وعلى مسامح العوام .

4- أن لا يكون التأويل مصادماً لنص آخر صريح الدلالة.

5- بيان دليل الصرف عن الظاهر.

إن هاته الخمسة الضوابط ، كقيلة -لو أنها طبقت- بأن تحجز كثيراً من العبث ، والتجاوز الذي عانت منه كثيراً نصوص القرآن المجيد. حين صارت مستباحة لضروب من التأويل المنفلت ، المتوجه بأهواء بعضهم ، وجهالات غيرهم، على نحو أزرى بهيبة النص المجيد، وألبس -على كثير من المسلمين- فهم غاياته ، ودلالاته، وشرائعه ، وأحكامه.

(1) (*) تنظر شرائط وضوابط التأويل في (قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين) إبراهيم حسن. دار قتيبة دمشق. ط. 1. 1993. 135/1. و(الموافقات...) للشاطبي 99/3 وما بعدها. وينظر البحر المحيط في أصول الفقه. الزركشي 443/3

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

إن دعاة ما أسميه: التجديد الجذري للفكر الديني، يتولون دعوة رائسة لا أراها نافعة للقرآن، تحوي التوكيد على فتح موسع لاجتهادات تأويلية مطلقة تهطل على البنية النصية للقرآن. وتعصف بها.

وقد انبنى هذا على نظرية خطيرة اسمها نظرية إسكات القرآن، ومفادها أن القرآن نص صامت - حسب تعبير محمد أركون- وحسب ما بين عبد الكريم سروش حين قال ((القرآن بنفسه لا ينطق، فنحن الذين ننطق عنه))⁽¹⁾ وستكون لي وقفة خاصة مع هذا الطرح في موطن لاحق من هذا الكتاب.

مما نلاحظه أنهم يرمون إلى أمر آخر فيه نفع لا يحسن نكرانه، وهو إلغاء مرحلية ومركزية الفهم الديني، بمعنى عدم الاعتماد على مرحلة ما، فضلاً عن عدم حصر الاستقاء الفهمي من النص منعزلاً عن الواقع.

إن هذه السبيل كفيلة بمصاغبة ودرك حقيقة الدعوة الدينية، وتحقيق مراد الشارع الحكيم، كما أن الازورار عن هاته المنهجية التجديدية سيسوق إلى ما وصفه طيب تيزيني بأنه ((عزلُ الإسلام عن عملية التدفق النوعي للتقدم التاريخي [حيث يحصل] التفريط بروحه ووجهه لحساب لفظه ورماده [إن إهمال تطبيق المنهج سالف الذكر، أمر سيدخل المفكر الديني في] حالة من الاغتراب الواقعي والذهني))⁽²⁾، حيث يؤول عائشاً في غير حينه، ومفكراً بغير عقله، وماكثراً في غير وقته.

(1) - صرح لي بذلك أركون في لقاء شخصي مباشر معه في طرابلس -ليبيا بتاريخ 2006م. في فندق كورنثيا. وانظر رأي سروش في كتابه بسط التجربة النبوية. دار الانتشار العربي. بيروت. ط1-2009-ص321

(2) - (الإسلام والعصر تحديات وأفاق) طيب تيزيني. ومحمد البوطي. دار الفكر دمشق. ط2. 1999. ص100، ص102

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وفي نطاق محاولات استثمار التأويل يعمل كثير من الباحثين المعاصرين على إرساخ فكرة وجود مستويين للنص

الديني هما: ((نص تنزيل ، ونص تأويل... ؛ ذلك لأن النص المقدس ما أن انتقل من فضائه الإلهي إلى الفضاء

الإنساني ؛ حتى أخذ يعيش حالة من التشظي الدلالي..عبر البشر الفرادى والمجتمعين))⁽¹⁾.

(1) نفسه.ص102.وتسمى هذه الحالة بجدلية التناص ، والتعددية القرائية، والتعددية الدلالية.والتشظي هنا بمعنى التعدد والكثرة.

الفصل الأول

التنوعات المنهجية التفسير

تواضع واعتاد أكثر علماء التفسير على إقرار أربعة أنواع للتفسير، وذلك بحسب المنهجيات التي اتخذها المفسرون في كل نوع منها، فمنهم من انتهج طريق الاعتماد على المنقول السابق، من الروايات والمأثورات، ومنهم من اعتمد طريق النظر الاجتهادي في الدلالات، بالاعتماد على الرأي والفكر في استخراج المعاني من عبارات وتراكيب وآيات القرآن المجيد، وبذلك لم تكن مناهج المفسرين على مسلك واحد، وعلى كل حال استقر الأمر على الأنواع التالية⁽¹⁾:

1 - التفسير بالمأثور:

حيث يتم الاعتماد على المنقولات المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام، وعن الصحابة، وعن التابعين. من أشهر كتب هذا النوع تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ - ومعالم التنزيل، لأبي محمد البغوي 510 هـ. و تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 774 هـ، والدر المنثور للسيوطي 911 هـ.

يرى الغلاة من دعاة هذا الضرب التفسيري، أن فهم القرآن موقوف على السماع. وهذا رأي يجرم إبداء الرأي الطارف غير المسبوق، ويحجر أعمال العقل في محاولة إدراك مراد الله تعالى، وظل كثيرون يرددون قول ابن تيمية ((فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام))⁽²⁾ غير مميزين بين التفسير بالرأي، وبين التفسير بلا علم، الذي ورد

(1) - للتفصيل انظر مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني 2\14 وما قبلها. و(القرآن وعلومه والحديث وعلومه) محمد خلف الله ص32.

(2) - مقدمة في أصول التفسير. ابن تيمية 98. وقد طبع لابن تيمية تفسير تحت عنوان التفسير الكبير.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

فيه وعيد النبي فيما روي عنه ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))⁽¹⁾ وهو حديث ضعيف لا

حجة في أمثاله ، وأوهن منه ماروي منسوباً إلى رسولنا الكريم ((من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ))⁽²⁾.

وقد كان على ابن تيمية-رحمه الله- أن يتحرز ويحتاط لمثل هذا، حين يطلق حكماً بالتحريم ثم يستشهد له

بأدلة واهية ضعيفة ؛ يتلقفها الجهال المؤهلون للتحجر؛ فيغلقوا على أهل الفهم باب استثمار عقولهم في درك

مراد الله من القرآن.

2- التفسير بالرأي:

هنا لا يقيد المفسر عقله وفهمه بمنقولات السلف، بل يتيح لعقله القيام بالمهمة التي لأجلها خلقه الله؛ فيتأمل

ويتدبر في كلام الله، ويقول ما وصل إليه، بناء على مواهبه الفهمية، وآلاته المؤهلة .

ومما يحسن التنبيه إليه هنا، أن هذا النوع لا يقيم قطيعة تامة مع المأثورات والروايات التالدة ، الواردة عن

الأسلاف، بل يستعين بها، ويستنير بها، لكن على نحو غير حصري وجبري، كما هو الحال في التفسير بالمأثور .

لذلك فإن التفسير بالرأي لا يبدأ من الصفر، ولا ينطلق من العدم، بل هو متأسس على قاعدة نصوصية

أثرية سلفية ، لكن وجه مخالفته للتفسير بالمأثور، يكاد ينحصر في طريقة التعامل مع المأثور، نوعياً وكمياً،

كذلك في النظرة القيمية الموجهة إليه.

(1) - خرجه الترمذي من طريق سفيان بن عبد الأعلى ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم 5749

(2) - خرجه الترمذي وغيره بسند ضعيف . للتوسع انظر ضعيف الجامع للألباني برقم 5748 . وتفصيل القرطبي للكلام فيه في

مقدمة تفسيره ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . 1985 ص 1\31 وما تلاها.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

وقد كان أشهر تفاسير هذا النوع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي المتوفى سنة 606هـ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي 691 هـ وتفسير علاء الدين الخازن 741 هـ.

3- التفسير الإشاري :

هذا النوع يعتمد على بيان ما تحمله كلمات وتعابير القرآن، من إشارات لمعانٍ غير ظاهرة للعوام، وغير متاحة في القراءة غير المدققة في الدلالات القرآنية.

وقد حوى هذا النوع ميلاناً ذمياً عن ظاهرات الدلالات القرآنية، وتكلفاً غير محمود في ادعاء أصحابه حمولات إشارية دلالية ألصقوها بالنص المجيد. وبرغم لطافة وطرافة كثير منها، إلا أنها لا تدخل من باب العلم القويم الممنهج الموثق.

من أمثلة ذلك قول (ابن عجيبة) في تفسير كلمة {طه} قال: ((فالطاء تشير إلى طهارته صلى الله عليه وسلم، وتطهيره من دنس الحس، والهاء تشير إلى هدايته في نفسه، وهدايته غيره إلى حضرة القدس))⁽¹⁾

كان من أشهر تفاسير هذا النوع تفسير سهل التستري المتوفى سنة 283 هـ. وتفسير عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي المتوفى عام 606 هـ. والبحر المديد، لابن عجيبة. رحمه الله.

4 - التفسير العلمي :

هو نوع من التفسير يهتم ببيان موافقات العلم الحديث وكشوفاته، مع ما ورد في النص المجيد، وتوكيد سبق القرآن لتقرير تلكم الكشوفات العلمية.

(1) - البحر المديد - ابن عجيبة 3\495

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

من أشهر من كتب في هذا: الشيخ طنطاوي جوهرى في (الجواهر في تفسير القرآن الكريم). و زغلول النجار،

وعبد المجيد الزنداني. في كثير من كتاباتهما، فضلاً عن محاضراتهما.

منهجيات أنواع التفسير المذكورة:

إن كل نوع من هاتيك الأنواع يحمل تصريحاً بمنهجية التفسيرية، حسب التبيين التالي:

فالأول (بالمأثور):

منهجه قائم على استحضر واعتماد و استنقال ماورد من آثار ونصوص سالفه، شملت بيانات تفسيرية للنصوص المجيدة .

أما الثاني (بالرأي):

فينتهج طريق الاجتهاد العقلي التدبيري الذاتي للمفسر، مستعينا بما وهبه الله من إمكانات فهمية ، ومعرفة علمية باللغة وعلوم الشريعة، ثم ما يهبه له تدبره وتأمله في النص القرآني، من غير قطيعة تامة مع المأثورات والآثار. حيث يتم الاستئناس والاستنارة بالآثار السالفه والمأثورات القديمة.

والثالث (الإشاري): هو ضرب من التفسير ينتهج طريقاً استبطانياً بالاعتماد على ما يبدر من إشارات تحملها

آيات القرآن؛ فيتبنى ما سنع منها بوصفها حاملة للمعنى الأصلي، أو الدقيق الخفي. وهذا النوع مرتبط بالاستمداد الذوقي، والتخيلي والتصوري التأملي على نحو ما شاع لدى غالب الصوفية⁽¹⁾.

(1) -للتوسع والتفصيل في هذا النوع من التفسير ينظر (أثر الفكر الصوفي في التفسير: دراسة ونقد) بهاء الدين حسن سليمان. رسالة ماجستير. نوقشت بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامي بغزة. ص58 وما قبلها

والرابع(العلمي):

منهجه معتمد على إضاءة معاني الآيات بما تحقق إنجازاه من فتوح ومكتشفات علمية، تسهم مباشرة في إيضاح وتوكيد دلالات كثير من النصوص القرآنية، من غير استغراق للقرآن كاملاً. هذا النوع من التفسير هو تفسير جزئي غير مستغرق للنص المقدس كاملاً ، لأن ماله علاقة بالعلم وكشوفه معدود ومحصور من وسط توليفة الآيات القرآنية الشريفة.

ولقد رأينا ولوعاً من كثير من حدثاء علماء التفسير بتكثير أسامي أنواع التفسير وتوجهاته ، فتبعاً لكثيرة مناهج مقارنة ودرس واستنطاق واستفهام الدلالات القرآنية ؛ تعددت أنواع التفسير حتى إن الواحد منها قد يسمى بأكثر من اسم ظناً وتوهماً أنه غير غيره، أو أنه سوى سواه .

ومن أهم وأشهر تلك الأنواع ما يلي (1) :

1- التفسير التحليلي يبحث في معاني الألفاظ ومراميها والمقصود منها، وارتباطه بالتفسير المقاصدي ظاهر؛ إذ معاني الألفاظ ودلالاتها هي إحدى مسالك الكشف عن المقاصد من الآيات الكريمة، وفي الوقت نفسه ينضبط النظر التفسيري التحليلي بمقاصد الآيات والسور؛ فضلاً عن المقاصد العامة للقرآن الكريم.

2- التفسير الموضوعي الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متبعباً ترتيب الآيات في سورها، يحتاج إلى النظر المقاصدي في القرآن الذي يقيم انسجاماً واتساقاً بين أحكام هذا الموضع ومقاصد القرآن،

(1) - انظر بيان هاته الأنواع في كتاب: نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تأسيسية لمنهج جديد في تفسير القرآن. وصفي عاشور. دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع. ص 15-16.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْم النجمي، والنُجْم النجمي

وينكشف كذلك مقصد هذا الموضوع من خلال تتبعه في القرآن؛ حيث تتضح رؤية القرآن حول هذا الموضوع ومقاصده ومعالمه.

3- التفسير الإجمالي يبين معاني السورة إجمالاً وهو مرتبط بالتفسير المقاصدي كذلك؛ إذ ينطلق من مقاصد السورة التي تنكشف من خلال آيات السورة واستقراء ما ترمي إليه.

4- التفسير المقارن، فهو يعرض أقوال المفسرين في الآية أو الجزء من الآية ثم يبين مرجوحها من راجحها، وضعيفها من قويها.

5- وأما التفسير الموضوعي فهو يتناول موضوع السورة أو موضوعاً يتبعه في آيات القرآن جميعاً، والهدف منه هو الكشف عن معالم الموضوع، ورؤية القرآن له، وبيان مقاصد القرآن الكريم من موضوع السورة أو موضوع ما .

6- التفسير السنني الذي يتناول القرآن في ضوء علم السنن فهو وثيق الصلة بالمقاصد وفكرها؛ إذ لا فهم للسنن إلا مع فكر المقاصد، ولا حركة للمقاصد في الواقع إلا في ظلال السنن الربانية.

7- التفسير المقاصدي. ينطلق من التسليم بمحورية المقاصد وضرورتها وأوليتها لدى المفسر حين ينظر في القرآن العظيم بمناهج تفسيره جميعاً.⁽¹⁾

ولا يغرب عنا أن هاته الأنواع ليست بدعاً من القول، إنما هي مستودعة في مجمل ومجموع التفاسير قديماً وحديثاً. إنما نحا بعض الباحثين الحُدثاء إلى إفرادها بالاهتمام والتركيز على نحو قد يتصور البعض منه أنها توجهات جديدة متطرفة في مقارنة وتفسير القرآن المجيد.

(1) - للتوسع في هذا النوع ينظر كتاب نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم...وصفي أبو زيد ص 17 وما تلاها.

الفصل الثاني

موارد تفسير القرآن

رتب جمهور علماء التفسير القرآني ، وعلماء القرآن بعامة موارد ومرجعيات مخصوصة لتكون مصدراً حصرياً لاستقاء معاني ودلالات النص المجيد ، تلك المصادر هي التي أسميها (موارد تفسير القرآن). ورأوا أن تلك الموارد هي الأضمن، و الأصح، والأوضح ، والأرجح في تفسير وبيان المفاهيم والمعاني القرآنية .

ويجيء هذا الترتيب في صورته الحصرية –المستبعدة للتدبر والتفكر- أداة من الأدوات التي استخدمت في تجميد مناهج التفسير ، وقطع الطريق أمام التجديد المنهجي في التعامل مع العالم الدلالي للنص المقدس .

وليس يخفى أن الاقتصار على هاته الموارد وعدم عِدِّ التفكّر و التدبر العقلي فيها؛ هو نوع من المصادرة الظالمة لحق الإنسان العالم في الاستفادة من عقله وفهمه الذي حباه الله تعالى به ، وحثه على استثماره في إدراك المراد الإلهي المكنون في القرآن المجيد .

تلك الموارد التي أشرت إليها هي التي وصفها ابن تيمية –رحمه الله- بأنها ((أصح الطرق))⁽¹⁾ بعد وضعه سؤالاً

افتراضياً هو ((...فما أحسن طرق التفسير ؟))⁽²⁾.

(1) - مقدمة في أصول التفسير – ابن تيمية – دار الصحابة للتراث. طنطا – مصر ط1 1988. ص92

(2) - نفسه ص92

أما تلك الموارد فهي التالية :

- 1 القرآن :

اصطلاح وتواضع علماء القرآن على أن أول وأولى مصادر التفسير هو القرآن ، حيث نجد توضيحاً و تفسيراً لبعض الآيات، أو الكلمات في مواضع أخرى من القرآن. وقد أقر بعض الحُذثاء ممن لهم جهود تجديدية في مقارنة وتفسير القرآن ، بجدوى الاعتماد على القرآن في فهم القرآن. من ذلك ما اعتمده محمد عابد الجابري من منهج قائم على ما عبر عنه بقوله ((جعلُ المقروء معاصراً لنفسه، ومعاصراً لنا في الوقت نفسه))⁽¹⁾.

ثم ذكر أن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج ذلك المبدأ الذي ((نادى به كثير من علماء الإسلام ، مفسرين وغيرهم، وهو أن القرآن يشرح بعضه بعضاً...من دون إقصاء الروايات التي يعتمدها التفسير بالمأثور إقصاءً كلياً))⁽²⁾. وقد كان أول من طبق هذا لنوع التفسيري سيدنا رسول الله ، يشهد لذلك ما ورد في البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)⁽³⁾ شق ذلك على المسلمين وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: "يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم".⁽⁴⁾

(1) - مدخل إلى القرآن الكريم. الجزء الأول في التعريف بالقرآن. محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

ط2. 2007م ص28

(2) - نفسه ص28. التعبير المشهور هو أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

(3) سورة الأنعام: الآية82.

(4) سورة لقمان: الآية13 وانظر الحديث في جامع الأصول جامع الأصول في أحاديث الرسول عليه السلام، لابن الأثير. تحقيق

عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان وآخرون، الطبعة الأولى 1389 هـ-1969 م، دمشق.2:134.

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجمي، والنوجمة النجمي

ومن المثالات الموضحة لهذا النوع - أعني تفسير القرآن بالقرآن -،⁽¹⁾ قوله - جل وعز - {أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم}⁽²⁾. فهاته الآية لم تذكر المستثنى ذكراً جلياً، ثم جاء بيانه وتفسيره في قوله جل وعز {حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة، والموقوذة والمتردية، و النطيحة، وما أكل السبع...}⁽³⁾.

ومن المثالات في هذا الباب قوله تعالى {وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل}⁽⁴⁾.

هاته الآية نلقى تفسيرها وتوضيحها في سورة الأنعام في قوله {وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم}⁽⁵⁾.

وعند استتباع أنواع التوضيحات والتفسيرات التي نلقاها في القرآن للقرآن، اتضح أنها تتنوع إلى الصور التالية:⁽⁶⁾

-تفسير المجمل بالمبين

-تفسير العام بالخاص، الذي يقوم بتخصيصه.

-تفسير المطلق بالمقيد، خلال عملية التقييد.

(1) - ينظر للتفصيل: سنن الترمذي. كتاب تفسير القرآن عن رسول الله. ص 764 وما تلاها. وينظر: دراسات في أصول التفسير.

محمد كبير يونس. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا. ط 1. 2002 م. ص 38.

(2) - سورة المائدة. الآية 1

(3) - سورة المائدة. الآية 3

(4) - سورة النحل. الآية 118

(5) - سورة الأنعام. الآية 146

(6) - انظرها مفصلة في: دراسات في أصول التفسير. محمد كبير يونس ص 39 وما تلاها

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

-تفسير المنسوخ بالناسخ

-الجمع بين القراءات.

-تفسير القرآن بحسب مقاصده.

المورد الثاني:

2- الحديث النبوي :

حيث ورد عن النبي الكريم عدد من الأحاديث التي تحوي تفسيراً وبيانا لبعض الآيات القرآنية.

وتعد كتب الحديث – الصحاح، والسنن، والمسانيد، والأجزاء...- مصدراً رئيساً لتلكم الأحاديث التي حملت تفسيرات نبوية لبعض الآيات، من ذلك ما نجده عند مسلم، حين أفرد كتاباً في صحيحه سماه (كتاب: التفسير)⁽¹⁾. كذلك جمع أبو داود في سننه ما تيسر له ضمن (كتاب: الحروف والقراءات)⁽²⁾. وكان من أوسع ما جمع من ذلك، ما عند الترمذي في سننه، تحت عنوان (كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله)⁽³⁾. وكذا ما جمعه البخاري في صحيحه، تحت عنوان (كتاب التفسير)⁽⁴⁾ ونبّه إلى هؤلاء المحدثين وغيرهم لم يكونوا يفصلون بين الأحاديث التي تحمل تفسيراً نبوياً، وبين الأحاديث التي تبين أسباب النزول.

وقد فصل بعض العلماء في بيان وجوه التفسير الحديثي للقرآن، من ذلك ما ذكره الشافعي من أن وجوه تبين الحديث للقرآن هي⁽⁵⁾ :

- بيان المجمل، وتخصيص العام، وبيان النسخ، بيان التوكيد.

(1) - صحيح مسلم . كتاب التفسير . ص 1035 وما بعدها.

(2) - سنن أبي داود. كتاب: الحروف والقراءات. ص 663 وما تلاها

(3) - سنن الترمذي. كتاب تفسير القرآن عن رسول الله. ص 764 وما تلاها

(4) - الجامع الصحيح . للبخاري. دار ابن الجوزي. القاهرة . ط 2010م. ص 527 وما تلاها

(5) - للتفصيل ينظر كتاب : الرسالة للشافعي. 22 ص وما تلاها

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

كذلك ركز الشاطبي على ذكر الوظيفة التفسيرية التبيينية للحديث النبوي؛ فذكر من ذلكم⁽¹⁾: بيان المجمل،

والتفريع على ما جاء في القرآن من الأصول، والقياس على ما جاء حكمه في القرآن.

من مثالات تفسير الحديث للقرآن، تفسيره للقوة بأنها للرمي من قوله تعالى {وأعدوا لهم ما استطعتم من

قوة}⁽²⁾ سورة الأنفال من الآية 60 .

كذلك ورد قوله تعالى { فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم}⁽³⁾. وجاء تفسير ذلك في الحديث الذي خرجه

البخاري، ومسلم، والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً ((قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة.

فبدلوا؛ فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة))⁽⁴⁾.

وورد قوله تعالى {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه؛ نكفر عنكم سيئاتكم}⁽⁵⁾. هنا لم يظهر القرآن المراد بالكبائر،

فجاء حديث الرسول عليه السلام مفسراً ذلك فيما رواه أبو هريرة مرفوعاً ((اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا:

(1) - ينظر: الموافقات في أصول الأحكام. أبو إسحاق الشاطبي. دار الفكر. بيروت. 4/14- وما تلاها. ويراجع للتفصيل دراسات في

أصول التفسير. محمد كبير يونس ص 187 وما تلاها

(2) - ينظر تفسير الطبري 14\37. وضعف سند هذه الرواية لكنها صحت من طرق أخرى ذكرها مسلم في صحيحه كتاب الإمارة

باب فضل الرمي والحث عليه برقم 1917. وابن ماجه في سننه كتاب الجهاد باب الرمي في سبيل الله برقم 2813. وورد تفسيره

لاية {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} النور 37. قال ((هم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله)) خرجه

السيوطي في الدر المنثور 5\52. وقال هو عند ابن مردويه وابن أبي حاتم من رواية أبي هريرة

(3) - سورة البقرة. الآية 59

(4) - اللفظ للبخاري في: الجامع الصحيح. للبخاري. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط 2010. كتاب أحاديث الأنبياء. باب -

رقم 3403. ص 406. وخرجه مسلم بلفظ قريب. في صحيحه. ط دار الفجر. القاهرة. سنة 2010م. كتاب التفسير رقم 3015،

ص 1035

(5) - سورة النساء. الآية 31

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

يارسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))⁽¹⁾.

ومما فسره النبي مستعيناً بما صار يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، ما ورد في البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)⁽²⁾ شق ذلك على المسلمين وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: "يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم".⁽³⁾

ولسوء حظنا فإن ما ورد عنه-عليه السلام - قليل جداً، مقارنة إلى غزارة ما ورد عن غيره. من ذلك مثلاً أن الإمام مسلم ختم صحيحه بكتاب سماه كتاب التفسير، لم يخرج فيه إلا نحو أربعة وثلاثين حديثاً، متعلقة بتفسير القرآن بالحديث، مع أن جزءاً منها داخل في موضوع أسباب النزول.

3- أقوال الصحابة:

ظهر بين الصحابة عدد ممن اهتم بتفسير القرآن، فأثرت عنهم تفسيرات لكثير من آيات القرآن. وكان أشهرهم في هذا المجال: ابن مسعود، وابن عباس .

(1) - الجامع الصحيح للبخاري. كتاب:الحدود. باب:رمي المحصنات. رقم6857. ص807. ولفظ الترمذي : ((الكبائر: الشرك

بالله، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس، وقول الزور.))

(2) سورة الأنعام: الآية82.

(3) سورة لقمان: الآية13 وانظر الحديث في جامع الأصول 2:134.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

من ذلك -مثلاً- ما خرَّجه البخاري في صحيحه عن ابن العباس ، في تفسير قوله تعالى {وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا} قال ((الشعوب: القبائل العظام، والقبائل البطون))⁽¹⁾.

إذاً أثر عن بعض الصحابة كثير من التوضيحات لمعاني آيات قرآنية ، وشروح لبعض مفاهيمه ، دون أن نجد

أحداً منهم قد تناول القرآن كله بالتفسير. لذلك فما ورد عنهم لم يجاوز كونه تفسيراً جزئياً .

أما ما نسب لابن العباس فهو تفسير كامل ، لكن لم تصح نسبته إليه. وقد اشتهر بعنوان (تنوير المقباس من

تفسير ابن عباس)، وهو مطبوع ومتداول.

4-أسباب النزول:

لا يعزَّب عن المطالع للقرآن المجيد أن مجموع آياته الشريفة قد توزعت إلى نوعين من جهة سببية النزول هما

: آيات غير ذوات سبب لنزولها، وهي الأكثر والأغلب عددياً. والنوع الآخر آيات ذوات أسباب، وهي الأقل في عديدها

قلة واضحة جلية. وهذه الأخيرة هي الوقائع التي نزلت آيات في شأنها تعليقاً عليها، أو علاجاً و نقداً لها . ويعرفها

بعض العلماء سبب النزول بأنه ((ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه، أيام وقوعه))⁽²⁾.

وتنحصر أسباب النزول في أمرين:

1- حادثة تحدث . فينزل من القرآن ما يعلق عليها ، أو يبين حكمها، أو يوجه ويحدد التعامل معها.

(1) - الجامع الصحيح للبخاري . دار ابن الجوزي. القاهرة. كتاب المناقب. باب: يا أيها الناس إنا خلقناكم... الحديث رقم

3489.ص417

(2) - مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد الزرقاني. 1/106

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

2- سؤال يسأل عنه النبي عليه السلام: فينزل من القرآن ما يجيب عنه . وفي ذلك يستوي أن يتم السؤال عن أمر سابق قديم لم يشهده النبي ، كالسؤال عن ذي القرنين ، وكذا السؤال عن أمر حاضر في عصر النبوة كالسؤال عن الأهلّة، وعن المحيض. وكذلك السؤال عن أمر غيبي مستقبلي ، كالسؤال عن موعد القيامة .

لذلكم فأنا أعرف أسباب النزول بأنهما: مجموع الأحداث، والسؤالات التي نزل في شأنها حكم ، أو بيان ، بآيات القرآن ، في عصر التنزيل .

أعني هنا بالحكم كل توجيه وتكليف رباني ، ينزله الله في آية أو آيات ، متعلقة بحادثة تقع وقت التنزيل .
وأعني بالبيان ما ينزله تعالى- من جوابات عن ما يوجه للنبي من سؤالات ، سواء من طرف مسلمين أو غير مسلمين.

من ذلك مثلا مجادلة خولة بنت ثعلبة للنبي في شأن زوجها ، فنزل {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها} سورة المجادلة الآية 1. كذلك إعراض النبي عن ابن أم مكتوم -حسب جمهور المفسرين - نزل فيه {عبس وتولى} سورة عبس الآية 1.

وفي آية {قال من يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} (1).

أورد الواحدي أَنَّ أَبِي بَنَ خَلْفٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ حَائِلٍ قَدْ بَلِيَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتُرَى اللَّهُ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}.

(1) -سورة ياسين. الآية [78].

وكذا حين نشبت خصومة بين الأوس والخزرج بتأثير تأريث العداوة بينهما من طرف بعض اليهود نزل قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ؛ يردوكم بعد إيمانكم كافرين}{⁽¹⁾.

ومثال نزول آيات لأجل سؤالات معينة مخصوصة ، نزول قوله تعالى {ويسألونك عن ذي القرنين ، قل سأتلوا عليكم منه ذكراً...}{⁽²⁾. وقوله {ويسألونك عن الروح...}{⁽³⁾. وقوله {يسألونك عن الساعة...}{⁽⁴⁾.

وعلى كل حال فإن عدد مرويات أسباب النزول قليل جداً بالنسبة لعدد آيات القرآن المجيد، فقد أورد الواحدي في كتابه (472) حادثة نزول ، وإذا قيس هذا بعدد آيات القرآن التي بلغت (6236) آية ؛ سيبلغ ذلك ما نسبته 7.5% . من مجموع آيات القرآن المجيد.

أما السيوطي فقد جمع -وهو المستكثر - 888 آية فبلغت نسبتها 14% .⁽⁵⁾ بهذا يتأكد لنا رجحان ما ذكرناه من قلة عديد الآيات ذوات الأسباب. مع ملاحظة أن كثيراً من تلك المرويات المعدودة ، هي ضعيفة السند ؛ فلا ترقى لمرتبة القبول، ولو أنها مُخّصت وخضعت لضوابط التصحيح والتضعيف الحديثي ، لتساقط منها الكثير .
برغم هذا نجد بعض من أصابه قدر من الجهل يصر على ادعاء أن كل آيات القرآن قد التبست بسبب نزول خاص بها، هذا ما يقرره (محمد سعيد عشموي) بقوله ((كل آيات القرآن نزلت على الأسباب...سواء تضمنت حكماً شرعياً ، أم قاعدة أصولية، أم نظماً أخلاقية)).⁽⁶⁾.

(1) - آل عمران . 100. انظر أسباب النزول للواحدي . ص 132

(2) -سورة الكهف . 83

(3) -سورة الإسراء 85

(4) - سورة الأعراف 187

(5) - انظر الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن . ص 253-254

(6) - جوهر الإسلام ص 197

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

ونحو هذا الادعاء وجدناه عند (نصر حامد أبي زيد) القائل ((إن الحقائق الإمبيريقية المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجماً...وتؤكد أن كل آية ، أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص ، استوجب إنزالها. وأن الآيات التي نزلت ابتداء -أي بدون علة خارجية- قليلة جداً)).⁽¹⁾

ونلاحظ انضمام هذه الدعوى - أي كَوْن كل أو أكثر آيات القرآن ذوات أسباب- إلى دعوى واهية أخرى عند من ادعى الأولى من أولي التوجه العلماني ونقد الفكر الديني، مثل نصر حامد أبي زيد، ومحمد سعيد عشاوي، وحسين أحمد أمين. حيث ادعوا أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، وهذا قول طارف جديد لم تشهد له كتب العلماء القدماء مثيلاً ذا بال، ولا حجة تستحق تُقال . إنما جرى تواضع علماء الشريعة تفسيراً وفقها وأصولاً على إقرار أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . في ذلك يقول الغزالي ((ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم....والحجة على بقاء العموم ، أن الحجة في لفظ الشارع ، لا في السؤال والسبب)).⁽²⁾

وفي هذا قال ابن تيمية ((والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب خاص ، هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص ؛ فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته)).⁽³⁾ وهذا مسلك قانوني معروف، وعرف

(1) - مفهوم النص. نصر أبو زيد . ص 97

(2) - المستصفي . 264/3 . وانظر هذا المعنى عند ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام 330/3-331

(3) - مقدمة في أصول التفسير . ص 37 وما تلاها. ولمزيد التوسع في هذا الموضوع ينظر : أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص . عماد الدين رشيد ص 392 وما تلاها. وكتاب الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن . أحمد محمد الفاضل ص 267 وما تلاها.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

اشتراعي مألوف ، لم يتخلف في الشرائع السماوية ، والتشريعات الأرضية جميعاً أعني أن يصدر حكم متعلق بجاذبة خاصة، ثم يصير عاماً شاملاً لكل ما يماثلها.

وقد انتبه ابن القيم لهذا فقال ((إن حمل عمومات القرآن على الخصوص تعطيل لدلالاتها وإخراج لها عما قصد بها وهضم لمعناها وإزالة لفائدتها))⁽¹⁾.

ويترجح لدي أن إصرار بعض الباحثين الحُدثاء على رد قاعدة (العبرة بعموم اللفظ) هو منطلق لتسويغ التحلل والتخلص من كثير من أحكام الشريعة التي يرونها غير مناسبة للعصر الحديث، ويرون التمسك بها ضرب من التخلف الذي يقاومونه بطريقتهم ، وضرب للتجديد الذي يطلبونه بطريقتهم.

وليس من وكدي هنا أن أبسط الكلام في الرد عليهم فالمقام مجاله غير هذا الكلام⁽²⁾.

5 - أقوال التابعين :

عرف كثير من التابعين بقيامهم واهتمامهم بتفسير كثير من القرآن . أشهرهم مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم.

وتعد كتب الصحاح والسنن ، المصدر الساس لما اثر عن التابعين من تفسيرات وتوضيحات لآيات القرآن المجيد. من ذلك ما نجده في الجامع الصحيح للبخاري حيث افرد ما سماه كتاب التفسير ، وضمه كثيراً من

(1) - الصواعق المرسله 2\697 وما تلاها نسخة عن موقع روح الإسلام

(2) - للاطلاع على هذا الرأي الشاذ انظر ما كتبه نصر حامد أبو زيد في كتابه (مفهوم النص) ص 104 وما تلاها . ومحمد سعيد العشماوي في كتاب (معالم الإسلام) 64 . ص 175 وكتابه (الإسلام السياسي) ص 51 وحسين أحمد أمين . في كتاب دليل المسلم الحزين ... ص 131 - 132 . وكذلك طيب تيزيني في كتابه (النص القرآني) ص 213-214 . ومن خير الردود على هذا كله ما كتبه محمد عمارة في كتابه (سقوط الغلو العلماني) . وما كتبه أحمد محمد الفاضل في كتابه الاتجاه العلماني المعاصر .

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

المرويات الحاملة لتفاسير تابعة ، استغرقت خمساً وثمانين صفحة ، رتب فيها ما صح لديه من روايات بحسب ترتيب سور المصحف من الفاتحة ، حتى الناس⁽¹⁾.

لكن لم تكن منتجاتهم التفسيرية، إلا من باب ما أسميه بالتفسير الجزئي ، حيث لم يصلنا تفسير كامل لأي منهم برغم وجود روايات تنسب لبعضهم كابن جبير- مثلاً- أنه فسر القرآن كاملاً. لكن أيدينا لم تنله، وأبصارنا لم تصله حتى الآن. وكذا الأمر مع عدد من التفاسير المنسوبة إلى أعلام التابعين وتابعهم، التي كان أشهرها:

- تفسير عبد الله بن نافع ، المتوفى سنة 186هـ

- التفسير المنسوب إلى الحسن البصري المتوفى سنة 110هـ

- تفسير عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، المتوفى سنة 182هـ

- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة 211هـ

ومن أول وأهم مثالات التفسير الجزئي ما وصلنا من تفسير الإمام مالك بن أنس، وتفسير سفيان الثوري.

وكان من أهمها تفسير يحيى ابن سلام المتوفى سنة (200هـ)⁽²⁾ وقد سبق الطبري بنحو مئة عام.

ظلت نسخة تفسير يحيى بن سلام، متداولة على نطاق ضيق، حتى عصرنا ، فظهرت في مخطوط موزع بين

تونس، والقيروان، فتولت الباحثة (هند شلبي) تحقيقه⁽³⁾. وقد قال أبو عمرو الداني عنه ((ليس لأحد من

(1) - الجامع الصحيح للبخاري . دار ابن الجوزي. القاهرة. ص 527 إلى ص 612 وما تلاها.

(2) - يحيى بن سلام (124 - 200 هـ = 742 - 815 م) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من «التابعين» وروى عنهم. ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها. وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج، بمصر

(3) - صدرت في جزأين. في طبعة أولى عن دار الكتب العلمية. ببيروت سنة 2004م

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

المتقدمين مثله))⁽¹⁾. ثم تلاه - في المغرب الإسلامي- ظهور تفسير (بقي بن مخلد) المتوفى سنة 276هـ⁽²⁾ الذي قال فيه الداوودي في طبقات المفسرين: ((ليس لأحد مثل مسنده ، ولا تفسيره))⁽³⁾ كما نقل الداوودي عن ابن حزم قوله ((أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره))⁽⁴⁾، لكن ظل تفسير بقي مغيباً مفقوداً وقد قيل إنه عثر على نسخة منه في بلدة قونية بتركيا سنة 2014. ولا ندري ما حصل بعدها.

والملاحظ أن تفسير ابن سلام برغم أسبقيته لا تجد عنه نقولا ولا عليه اعتماداً في كتب التفسير المسندة؛ كتفسير الطبري (ت: 310) ، وابن أبي حاتم (ت: 327) ، وغيرهما ، ولم يُفد منه السيوطي (ت: 911) في الدر المنثور. وقد اختصره مع بعض الزيادات أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَين ، شيخ قرطبة (ت: 399). واعتمد عليه هود بن محكّم الإباضي في تفسيره. ولم يذكر ذلك⁽⁵⁾.

نظرة تدقيقية في الموارد:

هنا أود الوقوف لأقول بأن هاته الموارد باستثناء الثاني منها - أي الحديث- غير مجدية حال الاقتصار عليها والانغلاق عما سواها. قد يثير قولي هذا بعض القارئین؛ لذلك سأشرح الآن مقصدي دفعاً لسوء فهم محتمل:

طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي. تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة. القاهرة. ط2-1994م 371/2. وله ترجمة في طبقات القراء لابن الجزري.

(1) - نفسه 371/2

(2) - بشأن هذين التفسيرين انظر للتوسع: جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز. حسن الطوير. دار قتيبة دمشق. ط1-2001م. ص36 وما تلاها

(3) - طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي. 117/1

(4) - نفسه 117/1

(5) - انظر ملاحظات مساعد الطيار. في ملتقى أهل التفسير. نشرها بتاريخه 2005-3-5

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

فيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن ، أقول: إن الاعتماد على الآيات القرآنية في تفسير أخواتها؛ جاء بناء على تشابهات و تماثلات في ألفاظ بعض الكلمات والتعابير التي تكرر ورودها في النص المجيد ؛ فجاءت في موضع ما من غير بيان كاشف ، أو وصف ضابط . ثم جاءت في غيره مشفوعة ببيان موضح أو وصف معين .

لكن الذي غفل عنه الكثيرون أن تكرر التعبير أو الوصف في غير مكان لا يقتضي أنه هو نفسه في المكانين أو أكثر . مثلاً وصف الضالين في الفاتحة لو جاء في غيرها مقروناً بمن وصفوا به فيها –أي اليهود - فهذا لا يقتضي أنهم هم أنفسهم المقصودون في الفاتحة ؛ لصلاحية وجواز إطلاق الوصف المعين على أكثر من موصوف تغايرت ذواتهم (1).

من هنا فتفسير القرآن بالقرآن يجب اعتماده من باب الاستئناس فحسب ، لا من باب التفسير القاطع . وقد أحسن مصطفى أبو هندي الفهم حين قال ((إن الربط بين نصين قرآنيين عملية اجتهادية، قابلة للصواب، والخطأ كذلك))⁽²⁾ لأنه ربط بشري، لا يمكنه بحال الوصول لدرجة العصمة، برغم تعلقه بنص معصوم. لذلك فهذا النوع من التفسير يكون معيناً ومؤنساً في فهم كثير من الآيات، لكن لا يجوز القطع فيه ، لأنه عملية اجتهادية يتم فيها ربط اية بأخرى ربطاً اجتهادياً من غير بلوغ درجة القطع واليقين في أن مراد الله تعالى قد وافق اجتهاد المفسر الذي قام بعملية الربط تلك.

(1) - مثلاً إن قلت : سعد رجل صالح . ثم قلت بعد حين : رأيت رجلاً صالحاً. فهذا لا يقتضي أنك تقصد سعداً الذي ذكرته في الجملة الأولى.

(2) - التأثير المسيحي في تفسير القرآن . مصطفى أبو هندي . ص 127

تفسير القرآن بالحديث :

أما تفسير القرآن بالحديث النبوي، فأراه أولى، وأجدي، وأقوم ما يمكن الاعتماد عليه، حيث إن توضيحات وبيانات النبي عليه السلام هي الأرجح والأقوى من كل ما عداها ما دامت صحيحة النسبة إليه .

أسباب النزول :

هي من الموارد المعتمد عليها في التفسير ودرك معاني الآيات (1) ، حيث يتعين في بعض الآيات درك سبب النزول لفهمها ، وإلا بقيت مستغلقة عن الوضوح ، عصبية عن البيان . والواقع أن هذا الحال غير صالح للتعميم ؛ لانحصاره في آيات معدودة ، من هنا نرى أن الاعتماد على مورد أسباب النزول، يكتنف ثلاثة معايب تغض من جدواها .

تلك المعايب الملازمة لمرويات أسباب النزول هي التالية :

- 1-ضعف أسانيد الكثير منها ، على نحو غير مطمئن.
- 2-قلة عددها مقارنة بعدد آيات القرآن .فهي لا تعدو نحو 7.5% ، حسب الواحدي، و14% حسب ما جمعه السيوطي. مقارنة بمجموع آيات القرآن المجيد.
- 3-إن العبرة في القرآن ونصوصه هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهاته قاعدة مركزية، من شأنها قصف الوهم القائم على تصور أسباب النزول مورداً أساسياًً للتفسير .

(1) - أشهر كتابين فيها . ما كتبه الواحدي وما كتبه السيوطي الذي كتب أيضا الحديث كتابه (أسباب ورود الحديث) ط المكتبة العلمية . بيروت . ط1-1984-تحقيق : يحيى إسماعيل

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجمي، والنوجمة النجمي

لكن هذا لا يقتضي أنها-أي أسباب النزول- لا تضيء جوانب بعض الآيات التي يتعين فيها مذكور ما أو يُشار فيها إلى شخص معين مثلاً : {إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم} (سورة النور 11). و{وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم} (الأحقاف 10). و{عبس وتولى أن جاءه الأعمى} (سورة عبس 1). و{تبت يدا أبي لهب وتب} (المسد 1).

ليس يخفى أن تحجير دلالات العمومات القرآنية أمر من شأنه تضييع كثير من المعاني القرآنية ، وقد انتبه ابن القيم لهذا فقال ((إن حمل عمومات القرآن على الخصوص تعطيل لدلالاتها وإخراج لها عما قصد بها وهضم لمعناها وإزالة لفائدتها))⁽¹⁾ ومن المثالات التي ذكرها قول بعضهم إن علياً -عليه السلام- هو وحده المراد بقوله تعالى {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} (المائدة 55). وقول آخرين إن عمر بن الخطاب -عليه السلام- وحده هو المراد بالآية {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار} (سورة محمد) وأن أبا بكر -عليه السلام- هو المراد بقوله {رحماء بينهم} (سورة محمد) .

4- من شأن أسباب النزول والارتباط بها أن تحجر ، أو تحرج تدبر وتفكر المفسر في المعاني الواسعة التي تحويها أكثر الآيات ؛ حيث سيستقر جولان فكره في إطار تلك الحادثة أو الموقف المذكور في أسباب النزول ، بعيداً عن التوسعات الدلالية والفهمية التي تتيحها اللغة والسياق في الآية موضوع التفسير.

(1) - الصواعق المرسله 2\697 وما تلاها نسخة عن موقع روح الإسلام

- أقوال الصحابة:

تميز وتشرف كثير من الصحابة برفقتهم للنبي⁽¹⁾ وهذا ما مكثهم من إدراك كثير من التفاصيل التي غابت عن غيرهم . وبرغم ذلك فأراؤهم الشخصية ، واجتهاداتهم الذاتية هي مجرد اجتهادات بشرية ، يعتمدها الصواب بقدر ما يعتمدها الخطأ ، إلا إذا أنى الصحابي قوله ، ونسبه في صحة النبي ، فذلك شأن آخر . وليس لنا أن نقبل مذهب من أسبغ قدسية غير معلنة على أقوال الصحابة ، وجعلها في مقام الحجج النصية ، رأساً برأس مع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظر إليهم نظرة المعصومين . فليس يصح ادعاء العصمة لغير الأنبياء .

أقوال التابعين:

أشار القرطبي إلى أن مهمة التفسير ليست محصورة في زمن ما ، أو طبقة محددة ، بل هي متاحة لكل العلماء ، فقال إن الله جعل للنبي بيان ما جاء مجملاً ،...ثم ((جعل إلى العلماء...استنباط ما نبه على معانيه وأشار على أصوله ليتوصلوا باجتهاد فيه إلى علم المراد))⁽²⁾ .

إن من الغلو والجهالة أن نعد أقوال التابعين حجة ؛ فلا نجاوزها خاضعين لما فهموه هم نيابة عننا ، وأن نكتفي بالاجترار والتكرار ، رادين ما تفضل الله به علينا من نعمة العقل والفهم ، وكان فضل الله تعالى قد انحصر في القرون الأولى ، واقتصر على أهلها دون من بعدهم . وهذا ما أنكره بعض العلماء صراحة ، فقد قال شعبة بن الحجاج في سؤال استنكاري ((أقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير؟))⁽³⁾ .

(1) - لم أقل كل الصحابة لأن كثيراً منهم لم يرافق النبي ، بل أعلن إسلامه وعاد إلى موطنه وقبيلته بعيداً عن النبي عليه السلام ومنهم من كان حدثاً لا يرافق الكبار ، ومنهم من مات قريباً من إسلامه . لذلك لا يصح تصور أن الصحابة كلهم كانوا رفاقاً للنبي صلوات الله عليه .

(2) - انظر مقدمة القرطبي في تفسيره 2\1

(3) - مقدمة في أصول التفسير - ابن تيمية ص 98

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وهذا إدراك منه لانعدام العصمة عن ذواتهم، وهي حقيقة يتعامى عنها الكثيرون اليوم في سياق تقديسهم

للأسلاف وللقديم، من غير تبصر ولا انتباه لما هم عليه من خطر منهجي غير مشروع، غير مميز بين صواب

الاهتداء والاستعانة بالقديم ، وبين غلط تقليده والعبودية له.

"توجهات التفسير"

توجهت العملية التفسيرية للنص المجيد توجهاً منوعاً من حيث تركيز الاهتمام التفسيري، لكون القرآن المجيد حاوياً لأكثر من غرض وسط بنيته النصية، ففيه القصص، وفيه العقائد، وفيه الأمثال، وفيه الأحكام التكليفية؛ هذا التنوع الموضوعي استتبع واستوجب أن يكون للتفسير القرآني أكثر من توجه ، في سياق إجراء العملية التفسيرية القاصدة فهمً واستيضاح المعاني والدلالات الكامنة وسط القرآن المجيد وبين سوره ، وآياته، وتركيباته وكلماته. فظهر لأجل ذلكم كل من التوجهات التالية :

1_ تفسير غريب القرآن :

الذي يهتم أساساً وفرعاً بالإبانة عن الدلالات المعجمية اللغوية للألفاظ المُغربة معنوياً، وقليلة التداول . وقد اشتهر أن أول من صنف فيه كتاباً هو أبو سعيد أبان بن تغلب المتوفى سنة 141هـ، وقيل بل هو أبو عبدة معمر بن المثنى، المتوفى سنة 210هـ.

ومن القمين بالذكر أن عدداً من كتب الغريب قد كتبت بغير العربية، وذلك ضمن مصنفات علماء بلاد الهند وباكستان، وفارس. ومن أشهر ذلكم: كتاب جامع المفردات. أو تفسير الآيات البيّنات. للشيخ نجيب باشا. وهو مخطوط كتب بالعربية والفارسية. وكتاب: عمدة لغات القرآن، للشيخ فاضل أجل مولوي. كتبه بالأردية ، ونشر سنة 1929م. وكتاب: غريب القرآن في لغات القرآن، لأبي الفضل بن فياض، كتبه باللغة الأوردية. وكتاب: قاموس القرآن، لزين الدين سجاد ميرثمي. باللغة الأوردية.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

ومن أشهر ما كتب في هذا: (مفردات غريب القرآن) لأبي القاسم الأصفهاني المتوفى عام "502" هـ، و(تذكرة الأريب في تفسير الغريب) لابن الجوزي، وتفسير غريب القرآن، لمحمد ابن الأمير الصنعاني.⁽¹⁾

2 _ تفسير مشكل القرآن :

أغلب من تناوله استعمل هنا بدل كلمة تفسير ، كلمة تأويل ، عند إضافتها إلى كلمة مشكل. هو نوع من التفسير يركز على فك الالتباسات الدلالية والمعنوية، والشواذ النحوية، وما ظهره التعارض من آيات القرآن المجيد. من أشهر كتب هذا النوع (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة.

3 _ تفسير أحكام القرآن :

هذا الضرب من التفسير يحصر اهتمامه في آيات الأحكام التشريعية التكميلية دون غيرها من أي الذكر الحكيم ذات الأغراض غير التشريعية. وقد كتب في هذا كثيرون كان من أهمهم : محمد بن إدريس الشافعي ، وابن العربي ، والجصاص ، وصديق حسن خان .

4 -التفسير البياني :

وهو نوع لا يحصر اهتمامه في الدلالات المعجمية للألفاظ إنما يتعداها لتوضيح المستوى البياني والبلاغي، الذي تنضمُّ عليه كلمات وتعبير النص المقدس . وقد كانت عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطئ)، وفاضل السامرائي، من أهم وأشهر من كتب في هذا النوع .

(1) - من أوفى ما سُرد وذكر من عنوانات كتب الغريب ، ما سرده محمد صبحي حلاق في مقدمة تحقيقه لكتاب (تفسير غريب القرآن) لمحمد بن الأمير الصنعاني. دار ابن كثير -دمشق وبيروت. ط1. 2000م ، وقد استغرق سرد العنوانات الصفحات من ص8 إلى ص29.

5- التفسير المقاصدي :

هذا الضرب من التفسير هو الذي يركز على استبانة -ثم تبين- عمومات المقاصد القرآنية، وشوامل الغايات المودعة في السور القرآنية بعامة .

يقول الدكتور وصفي أبو زيد في بيان أهمية هذا التوجه التفسيري ، وعلاقته بسائر أنواع التفسير ((أما علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير ومنزلته منها، فإن أي نوع من أنواع التفسير لا غنى له عن مقاصد القرآن، فالتفسير المقاصدي إضافة إلى أنه نوع من أنواع التفسير، فإنه متغلغل في أنواع التفسير جميعا، وكل أنواع التفسير لا غنى لها عنه، بينما هو يستغنى عن أنواع من التفسير، وهذا يبرز أهمية التفسير المقاصدي))⁽¹⁾.

6- التفسير العلمي:

وهو القائم على إبانة التوافقات الحاصلة بين الكشوفات العلمية الحديثة، وبين ما يوافقها من آيات قرآنية دلت على فحوى هاته الكشوفات العلمية. وهذا من أوسع أبواب الإعجاز القرآني في سياق تناول المعاصر لإعجاز القرآن.

7- التفسير الموضوعي⁽²⁾.

إن من مظاهر التجديد التفسيري الظهور الناهد لما صار يعرف باسم (التفسير الموضوعي)، وهو ((الانطلاق من الموضوع الواحد لدراسة الآيات المتعلقة به ... يتتبع المفسر الكلمة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات

(1) - نحو تفسير مقاصدي . وصفي أبو زيد . ص 5

(2) - في خبر ورد للجنة الاستشارية لمشروع "موسوعة التفسير الموضوعي" في #مركز تفسير تضع اللمسات الأخيرة لإصدار الموسوعة في ٣٦ مجلدا اشتملت على ٣٥٤ موضوعا قرآنيا. وستصدر في تطبيق إلكتروني ومنصة تفاعلية لتكون من أكبر مشروعات خدمة تفسير القرآن المعاصرة.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية وبعد جمع الآيات- ولا حاجة بتفسيرها- يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها⁽¹⁾. وليس المراد تتبع كلمات بأعيانها على نحو البحث المعجمي إنما المراد تتبع المواضيع التي ترتبط بتلك الكلمات. وهو ضرب من التفسير يقوم على انتهاج التجزئة والتدقيق، في استغوار القرآن عن طريق نظرة تستهدف مواضيع بأعيانها، أو كلمات بأفرادها، نظراً وتفكيراً. وتدبيراً.

ولعل رائد التنظير والتأطير لهذا النوع في عصرنا هو الشيخ أمين الخولي، في كتابه (مناهج تجديد في النحو واللغة، والتفسير، والأدب)، حيث قال: إن القرآن قد ((عرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحداً بعينه.. وإنما نثر ذلك كله نثراً وفرقه، فيبدوا للناظر أن تفسيره سوراً وأجزاء؛ لا يمكن من الفهم الدقيق، والإدراك الصحيح لمعانيه. إلا إن وقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن، فيرد أوله إلى آخره، ويفهم لاحقه بسابقه))⁽²⁾.

ومثل بكلام القرآن أول سورة البقرة عن المؤمنين، وارتباط ذلك بما ورد من آيات في سورة (المؤمنون). وقال: ((إن الذي يفهم جملة نصوص خاصة بموضوع واحد، إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقه بمعرفة سابقها ولاحقها، إذا تباعد الزمن بينها كتباعده بين أي القرآن))⁽³⁾.

(1) - [تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي] د. فريدة زمرد، ملامح هذا المنهج في كتابها (مقدمة في المنهج)

دراسة بمجلة الإحياء العدد 2008/27. ص 89 وبعدها

(2) - (مناهج تجديد في النحو واللغة، والتفسير، والأدب) أمين الخولي. ص 304

(3) - نفسه ص 305. وينظر: أدبية النص القرآني: بحث في نظرية التفسير. عمر حسن القيان. المعهد العالي للفكر الإسلامي.

أميركا. بيروت. ط 1. 2011 م. ص

الفصل الثالث

منهجية التفسير بين التجميد والتجديد

لا يزال القرآن المجيد متنازلاً بين اتجاهين: تجميدي، وتجديدي. من غير أن يحتوي كل منهما على صفات ومقتضيات الخطأ كاملة، ولا على عناصر الصواب كاملة، بل احتوى كل توجه منهما على عناصر نافعة، إزاء أخرى ضارة، ليست في صالح كتاب الله العزيز، ولا يعني هذا تساوي قيمة وجدوى وفاعلية الاتجاهين، بل يجب أن نوكد أن التوجه التجميدي قد أحاق بعالم القرآن؛ فضيق رحابه، وأحرج براحه؛ فحجمه تقليصاً؛ إلى درجة أضاعت كثيراً من كنوزه.

في مقابل ذلك جرت محاولات حديثة تجديدية؛ لمقاربة ونقد وتقييم علم التفسير القرآني، وجاءت تلك المحاولات على مستويين:

- 1- المستوى المنهجي. من صور ذلك استحداث توجهات جديدة وابواب محدثة لمقاربة واستغوار النص الشريف، كاستحداث ما صار يسمى التفسير المقاصدي، والتفسير السُّنِّي. ووضع مبادئ وضوابط وخطوات نظرية تكشف خصائص وإجراءات هذه التوجهات، على المستوى النظري المنهجي.
- 2- المستوى التطبيقي: تشكّل في إنجاز عدد من التفاسير القرآنية، سائرة على سبيل الاجتهاد، والتجديد المؤسس على التدبر والتفكير في آيات الله تعالى، وعدم الاكتفاء بما قيل من سالف علمائنا.

أولاً - المستوى المنهجي:

هذا المستوى انضمَّ على عدد من الدراسات والاجتهادات المركزة على نقد ، وتقييم ، وتقويم المناهج التقليدية المعتمدة في استحلاب المقاصد الإلهية، وامتياح مكنونات النص المجيد .

وقد ظهرت أغلب دراسات هذا المستوى في هيئات غير متينة بل هي إلى الوهن أقرب؛ لافتقادها الأسس الرصينة، والقواعد الركينة، الواجب إقامتها قبل إنشاء أي دراسة في هذا المجال. ومرجع هذا الحال- في تقديري- هو أن أكثر أصحاب هذا النقد ليسوا بمؤهلين على نحو علمي تخصصي رصين، للخوض في ساحة العلوم الدينية بعامة، وعلوم القرآن بخاصة. فقد وجد بينهم متخصصون في الكيمياء، ومنهم في الفيزياء، ومنهم في الهندسة، والطب، ومنهم متطفل على الساحة بلا خلفية علمية أصلاً. فضلاً عن قلة تخصصوا في الدراسات الإسلامية.

كل ذلك هذا لا يفي بوجود أعمال جادة في هذا المستوى المنهجي للمقاربة القرآنية . ولعل من أمير الأعمال ذلك الجهد الذي بذله الباحث المغربي (مصطفى أبو هندي) خلال كتابته في موضوع (العقائد الإسرائيلية و أثرها في توجيه التفسير) ثم عمله المسلسل تحت عنوان (نحن و القرآن) الضامّ لأربعة كتب هي:

1- مقدمات في أصول التدبر 2- تفسيرات مسيحية 3- أحاديث مسيحية 4 - قضاء وقدر .

جاءت هذه الكتب في سياقات جريئة لا يزال كاتبها يحصد تبعاتها الماثلة في هجومات وخصومات، من طرف عدد من رافضي النقد للتراث التفسيري، وقد وصفتُ عمل الباحث بالتميز، برغم اختلافي مع عدد من أطروحاته التي أبداهها في معرض مشروعه النقدي التقييبي.

ثانياً: المستوى التطبيقي:

أعني به القيام بعمل تفسيري مباشر للنص القرآني، كله أو بعضه ، وقد عمل كثير من الدارسين والعلماء الحداثاء المجددين على تقديم تفاسيرٍ جديدةٍ، وفهوم طارفةٍ، لكثير من نصوص القرآن علي نحو جزئي، حيث اجتنب، أو عجز أكثرهم اجتراف تفسير شامل للنص المجيد كله،⁽¹⁾ فاقصرت التفاسير الكاملة على أتباع المناهج التقليدية، الذين لا يكادون يجاوزون ترديد ما قاله أسلافنا من المفسرين -رحمهم الله- من ذلك تفاسير: ابن سعدي، و الشنقيطي، والشعراوي، وسيد طنطاوي، وعائض القرني. ومحاولات جزئية لاجديد فيها، قائمة على الاختصار والتكرار، نائية عن الاجتهاد والابتكار. من ذلكم ما كتبه بعض الفضلاء منهم: عفيف طبارة، والصادق الغرياني، وغيرهم كثير-جزاهم الله خيراً-.

تجديد العملية التفسيرية

تحتاج العملية التفسيرية إلى قواعد داعمة، وضوابط هادية؛ تنظم سيرها، وتضبط نتائجها، وتكسيها فاعلية مشمرة؛ تقوي موقفها أمام دعوات التجميد والانغلاق من جهة، أو تنأى بها عن دعوات الانفلات من جهة أخرى. لقد قامت دعوات الانغلاقيين على قاعدة الاتباع، في حين قامت دعوات الانفلاتيين على قاعدة الانقطاع، وذلك في سياق إجرائي أزور عن الروح العلمية المتبصرة، وانحرف عن الموضوعية، مقارفاً آثاراً مهلكة طالت المعاني القرآنية الشريفة؛ فحرى بالمنهج التجديدي في التفسير أن يتغيا القواعد والضوابط التالية

(1) - من هذا النوع: القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي. أنور خروف. دار حوران للنشر. ومقدمات في أصول التدبر. مصطفى أبو هندي. وهندسة القرآن. جمال البدري. وقراءة جديدة للقرآن. عطية عامر دار المعارف سوسة. وكتاب إنذار من السماء. نيازي عز الدين عن دار الأهالي. و الكتاب والقرآن لمحمد شحرور. والحقيقة لنيازي عز الدين.

1- هجر الاتباع الأعمى.

2- واجتناب الانقطاع.

3- تمحيض التدبر.

4- تنوع الأدوات.

5- توقيح القرآن.

هذه الخمسة القواعد هي التي أراها كفيلة بتحقيق التجديد المثمر في العملية التفسيرية. وسأبسط الآن القول

في كل منها:

هجر الاتباع الأعمى:

إن اتباع آراء وتفاسير الأسلاف ليس مذموماً بإطلاق كما أنه ليس محموداً بإطلاق؛ إنما الذم والحمد، والنفع والضر يكمن كل منها في نوعية وإجرائية ذلك الاتباع، بمعنى أنه يكون ضاراً مذموماً حين يكون اتباعاً اجترارياً غير متبصر وغير مدقق قائم على محض التقليد المبني على تقديس غير مشروع لكل ما هو قديم.

بناء على هذا فالاتباع نوعان: اتباع متبصر واعٍ، وآخر اتباع أعمى فاقد للوعي. ومقابل هذا الحال يكون الاتباع محموداً نافعاً حين يكون محوطاً بوعي علمي يدفع صاحبه إلى اتباع متبصر يقصد الاهتداء بتجارب الأسلاف، والاستئناس بمنتجات عقولهم بعيداً عن التبعية المفرطة، والعبودية المغرقة، والتقليدية المهلكة، التي هي في واقعها منهج عائل فائل، لا يليق بمسلم أن يقع في مزلقه. وحسبه ذماً أنه منهج انتهجه المشركون، وذمهم الله لأجله. حين قال على لسانهم {قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا} {لقمان 21} و{إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون} {الزخرف 22}، و{قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا} {المائدة 104}.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

هذا المنهج الكريه المعتم استطاع أن يجد له من يتلقفه ويُعمله في ساحة التفسير القرآني ، خلال طروح عدد من المشائخ الداعين إلى الاتّباع الأعمى والتقليد المصنّت، لما ورد عن أسلافنا - رحمهم الله- وادعاء أن الحق والصواب قد انحصر في زمنهم، وأن المين والخطأ حكراً على آراء المعاصرين، الذين إن قال أحدهم اجتهاداً خالف فيه القدماء؛ رموه بالبدعة والضلال، لمجرد قوله برأي فتح الله به عليه، دون أن يسبقه أحد إليه . ألا في البدعة سقطوا .

إن دعاء هذا المنهج الرجوعي المنغلق يتحملون المسؤولية المباشرة عن التأخر والاضطراب والفوضى التي حاقت بالعملية التفسيرية للقرآن المجيد؛ حيث جعلوا بإزاء القرآن المجيد نصاً إشراكياً آخر لا يقل - عملياً- في القدسية عن النص الأصلي المجيد ، ذلك النص الإشراكي هو الذي اتخذ رتاجاً لإيصاد المدخل أمام عقول وتدبرات المفسرين المتأخرين.

اجتناب الانقطاع:

هذه القاعدة الثانية للتجديد التفسيري، هي هادمة لوهم عيش في رؤوس كثيرين من أدياء التجديد والتحديث والتنوير ، مفاد ذلك الوهم أن التواصل مع التراث عائق في سبيل التجديد الديني ، والفهم القرآني ، وأن الإبداع يقتضي بتر حبال التواصل مع ما أنتجه الأسلاف من علماء الأمة .

إن ذلك الوهم مسؤول بدوره عما حل بساحة التفسير القرآني من فوضى وانفلات أهرق علينا (تفاسير شحورية) تثويرية، لأن حسنت منتهجاتها ، فقد ساءت منتجاتها ، ولئن ضاعت منطلقاتها، فلقد ضاعت مستهدفاتها .

تمحيض التدبير:

أعني بهذه القاعدة جعل التدبير والتأمل في القرآن محضاً خالصاً من شوائب التأثيرات المسبقة ، من توجهات مذهبية مغرضة ، وتأثيرات عاطفية قوامها الهوى ، وما تشتميه الأنفس . فمتى برئ التدبير عن (الأيدولوجيا) والغرضية ، وعن امتطاء القرآن ، فهو زعيم بتحصيل فهم ومعان أقرب إلى مراد الله تعالى ومقاصده التي أودعها في كلامه المقدس ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا من فوقه ولا من تحته .

هذا المعنى التمحيضي لم يغيب عن بعض المفسرين فقروره في تفاسيرهم من ذلك قول أحدهم : ((إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره... أن ينفذ الإنسان من ذهنه كل تصور سابق ، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصويرية أو عقلية أو شعورية سابقة ، وأن يبني قراراته كلها حسب ما يصور القرآن والحديث... ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث بغير القرآني ، ولا ينفي شيئاً يثبتته القرآن))⁽¹⁾.

لعل هذا ما حاول بعض المعاصرين تطبيقه في تفسير القرآن من ذلك تفسير الشيخ عبد الكريم الخطيب الذي اعتمد فيه حسب قوله على عقله الحر. وكذا تفسير عبد العزيز الثعالبي المتوفى سنة 1944 (روح التحرر في القرآن) وكذلك تفسير (أسرار القرآن) لعبد العزيز جاويش 1929⁽²⁾.

(1) - في ظلال القرآن - سيد قطب 6\3731. نقلا عن : الإنسان والقرآن وجها لوجه . حميدة النيفر ص 66

(2) - انظر في ذلك الإنسان والقرآن وجها لوجه - حميدة النيفر ص 51 وما تلاها.

4 - تنوع الأدوات :

إن عمق، ودقة، وتنوع ، واتساع النص القرآني ، هي أوصاف تقتضي أن يتسلح المفسر بعدد من الأدوات التي عليه إعمالها واستثمارها في استكناهه للنص المقدس . أهم تلك الأدوات –عندي - : العقل، واللغة ، والعلوم الطبيعية ، وعلم الحديث ، والتاريخ .

هذه الأدوات يجب على المفسر أن يستجمعها ويحسن استعماله، في سياق مقارنته التدبرية للقرآن. ولا يحسن به الاكتفاء ببعضها دون الآخر ، أو أن يقصي بعضها أثناء العملية التفسيرية ؛ لأن هذا الإقصاء زعيم بزعة الفهم القرآني .

من ذلك مثلاً استعمال المفسر أداة العقل ، تاركاً أداة اللغة ، عامداً إلى فهم عقلي مجرد للقرآن . أو أن يجتزئ أداة اللغة وحدها مبعداً العقل ، والنقل المأثور عن النبي ، مدعيّاً أن اللغة وحدها كفيلة بإيصالنا لساحة المعاني الإلهية ، في نحو هذا قال القرطبي إن من ((بادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه))⁽¹⁾. إن تلك الساحة الشريفة لا يمكن ولوجها بقصور، أو اجتزاء أدواتي، على النحو الذي وصفته قبل قليل.

5-توقيع القرآن:

أعني بهذا ربطه بالواقع الإنساني المعيش، ببيان دلالات النص على نحو يصلها بحياة الإنسان العملية ، ملامسةً همومه ومشاكله اليومية ، في المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فضلاً عن المستوى الروحي ، حيث يربط التفسير ويوصل بالواقع ليكون التفسير القرآني أبلغ أثراً وأوسع نفعاً ، وأكثر واقعيةً.

(1) - الجامع لأحكام القرآن – 1\34 . وفي الاستعانة بالحديث وأهميته أورد القرطبي بسنده قول مكحول ((القران احوج الى السنة من السنة الى القران)) انظر 1\39

لقد غاب عن أكثر التفاسير التراثية، والمعاصرة-باستثناء قليلها- أن تعمل على توقيع القرآن ووصله بالحياة المباشرة للإنسان وبمهمومه الحياتية المتجددة، حيث نظروا للقرآن بوصفه كتاباً يجهز الناس للموت ومغادرة الدنيا، واكتفت تلك التفاسير بربط القرآن بالجانب الروحي والعبادي للإنسان، وهو جانب نوّكده أهميته، و عدم جواز إغفاله، لكن الاقتصار عليه دون غيره؛ فيه تعطيل للوظيفة الشاملة التي أراد الله للقرآن أن يحققها في عالم الناس. ولعل من أوضح من أفلح في توقيع القرآن، وربطه بالواقع الشيخ حسن البنا في تفسيره المسى (نظرات في كتاب الله) ⁽¹⁾ وقد ذكر في مقدمته أنه سبهم بربط ((معاني القرآن الكريم بمظاهر الحياة الحديثة علمية، واجتماعية، وخلقية)) ⁽²⁾.

لقد كان من صور قصور تلك التفاسير -العازلة القرآن عن الواقع- أنها ركزت جهدها على رصف وتنضيد التراكيب البلاغية، والألفاظ اللغوية، والأحكام الفقهية، والنقول التراثية، فأوردتها في سياقات مجردة غير متأصرة بالحياة اليومية للعالم والإنسان فيه. ((ولاشك أن حاجات العصر لن تلبها أقوال مأثورة لا يعلم أصحابها شيئاً عن هذا العصر وأهله وحاجاتهم)) ⁽³⁾ كما أن من أمارات الغفلة وسوء فهم رسالة الإسلام تصور كونه دين أخروي، غير دنيوي. والذهول عن أن هاته الرسالة الخالدة إنما جاءت مستهدفة مجالين في وقت واحد هما: صلاح الدنيا، والدين. ولا جرم أن تفسير القرآن مجال رحب ونضّاح، ومنهل للامتياح، يجب اهتبال غزارة خيره، ووفرة كنوزه لاستثمارها في خدمة البشر في دنياهم، وعدم عزله عنها، ولا عنهم. فلأجلهم نزل.

(1) - جمعه وحققه ونشره الشيخ عصام تليمة. 2001م.

(2) - نظرات في كتاب الله - حسن البنا. من المقدمة. نسخة إلكترونية

(3) - التأثير المسيحي في تفسير القرآن. مصطفى أبو هندي. ص 26

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

مثلا حين يفسر الأكثرون قوله تعالى: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء: مثنى، وثلاث ورباع...} (1) (النساء: 3) ، يتم التركيز على تفاصيل معنى كلمات : انكحوا ، وثلاث ، ورباع ، ما ملكت أيما نكم. ولا يقع الاهتمام بتوضيح آثار التعدد في المجتمع، سواء الآثار النافعة ، أو الضارة ، باختلاف المجتمعات، وكذا لا يحصل تعرض للمتربات الاقتصادية والتربوية الناتجة عن التعدد ، أو متربات ترك التعدد ومشاكل العنوسة في البنية الاجتماعية للمجتمع .

نعم هي مواضيع في علم الاجتماع والتربية لكن مُنَزَّلِ القرآن –تبارك وتعالى- يهيمه تناول هاته المسائل وحل مشاكلها، انطلاقاً من القواعد القرآنية ؛ حتى يتحقق التواصل المثمر والواقعي بين الإنسان، والقرآن ، وهو ما سميته توقيع القرآن .

و حين يتعرض-المنفصلون عن الواقع- لآيات الربا (2) -مثلاً- يركزون على الدلالة اللغوية للربا، ووجه تشبيهه تخبط آكل الربا بتخبط ممسوس الشيطان، ومدى إمكانية دخول الشياطين أجساد بني آدم، ثم يقرون تحريم مطلق الزيادة في استيفاء المقرض لقرضه، من غير ربط الآيات بالواقع الاقتصادي المعاصر، وموقع المسلمين فيه، في ظل تبدل وتطور الأنظمة الاقتصادية، وقوانينها، ومؤسساتها، وما نتج عن ذلك من تغيرات في أوصاف، ومصادر المنافع والمضار ، والمصلحة والمفسدة اللتين هما مناط التحريم والتحليل في الإسلام وشريعته.

(1) -سورة النساء. الآية 3

(2) - مثل قوله عز وجل : {يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ} البقرة 276. {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} البقرة 278. {لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَافاً} آل عمران 130

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

أما آيات القتال والجهاد فتهم أكثر التفاسير بربطها بجهاد النبي عليه الصلاة والسلام في زمنه ، ولا تتعرض للأوضاع الحربية المعاصرة ، وتجددات مظاهر وصور الجهاد .وتبدلات الظروف الدولية وأثارها في عالم المسلمين، والدول المحتلة، وصلتهم العسكرية بدول العالم، والتكتلات السياسية.

إن تجديد العملية التفسيرية يقتضي التركيز على ذلك الربط المهم بين النص القرآني والحياة المعاصرة الواقعية . لا أقول هنا ما قاله بعض الباحثين بوجود جعل النص تابعاً وخاضعاً للواقع ، بأن نبدل ثوابته ، ونغير أحكامه لأجل مسايرة الحياة العصرية ومستجدات العالم ، فهذا نوع من الفلتان الذي نبرأ عن أن نقع في شرك حُبالته ، أو نندحض في خفيّ مزالقه .

هذا قول لا أرتضيه. بل أقول إن النص القرآني هو الأصل والمرجع الأساس في حياة المسلمين ، وأحكامه هي الحاكمة وهي الأضمن والأأنفع مما يضعه الإنسان من قوانين مصادمة لها.

لكن هذا كله لا يعفينا من تفعيل هذا النص ، ومن ربطه بحياتنا العملية ، وأن نبث فيه حيويته التي طمسها كثيرات من التفاسير الفاقدة للوعي، بل صار بعضها مفقداً لوعي الناس، وهذه مرحلة أشر ، وأضرّ ، وأمرّ .

يجب أن ندرك بدقة حجم الأهمية التي ينطوي عليها تجديد الفهم التفسيرية، حيث إن ذلك أمر يقتضي تحويراً، وتطويراً، وتجديداً في المنظومة التدينية على نحو عام، يطال الفقه، والشريعة، والعقيدة. وهذا مأل طبعي متوقع؛ حيث إن عقائد وعبادات المسلمين المشتعبة هي مبنية على أساس فهم دلالات ومطالب النص القرآني، قبل وفوق كل شيء، ثم على الحديث النبوي، في مرحلة ثانية وتالية. وحين يصل مفسر معاصر -بنحو منهجي علمي- إلى معاني جديدة، وفهوم طارفة، ومخالفة لما سبق أن قاله السابقون، فهذا أمر ينبني عليه وجوب تبني واتباع مقتضيات تلك الفهوم، وتلك المعاني .

التفاسير الاستنساخية:

لا يعدو عمل كثيرٍ من المفسرين القدماء والمعاصرين أن يكون استمراراً لوظيفة الوراقين العاملين في استنساخ الكتب . ولعل الفرق الراس بين الطرفين، هو أن أولئك يكتبون أسماءهم على الأغلفة وينسبونها لأنفسهم ، أما النسخ فينسبونها لكتابتها الأصليين.

إن التفاسير الاستنساخية لا تجاوز أن تكون (نقلًا بتصرف) عن تفاسير سالفة ، وذلك وضع فاشٍ وسط كل الفرق الإسلامية المعروفة، سواء فرقة أهل السنة ، أو فرقة الشيعة، أو فرقة الإباضية .

من أشهر ما كتب في هذا النوع:

- 1-فتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان .
- 2-بيان السعادة ومقامات العبادة ، لسلطان أحمد البيرختي .
- 3-هميان الزاد إلى دار المعاد ، امحمد بن يوسف اطفيش .
- 4-تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان . لعبد الرحمان آل سعدي .
- 5-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . للشنقيطي .
- 5-الميزان . لمحمد حسين الطباطبائي.
- 6- تفسير هود الإباضي .

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

لقد جاءت أكثر الأعمال التفسيرية الحديثة مستنسخة تحت تأثير كل من : المنهج التراثي، والطرح التراثي . فهي أعمال استنسخت المنهج والمحتوى، وما كان اجترارها للمحتوى إلا نتيجة عن التزامها بالقديم ، واجتناب تجديده أو نقده، أو تطويره ، فضلاً عن الخروج عنه .في تقديس - غير معلن- للقدماء وما صدر عنهم -رحمهم الله- .

ولا يغيب عنا أن هذا مصاد لما أمر الله به عباده من تدبر ، وتفكر في القرآن. كما أن فيه موافقة وتساقاً مع منهج من قالوا {إنا وجدنا آباءنا على أمة...}

ومن مثالات هذا النزوع الرجوعي، ما ذهب إليه الشيخ محمد حسين الذهبي⁽¹⁾ من أن عمل المفسرين الأولين ((لم يترك لمن جاء بعدهم من عمل جديد أو أثر مبتكر يقولون به في تفاسيرهم... إلا عملاً ضئيلاً لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدمين ، أو شرحاً لغامضها أو نقداً وتفنيدياً لما يعتوره الضعف منها أو ترجيحاً لرأي على رأي))⁽²⁾. وأصاب (حميدة النيفر) حين علق على هذا بقوله: وهذا ((ما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود خالية من التجديد والابتكار))⁽³⁾.

والواقع أن ما حدث هو التالي :

1 - ضعفت همم المتأخرين عن متابعة الجهود التفسيرية الأصيلة ؛ فاكتفوا بالاستنساخ والنقل . ولاسيما أن أكثر علماء عصرنا من المتخصصين في التفسير هم أساتيد جامعيون ، شغلهم عملهم التدريسي وإغراءاته

(1) - هو من علماء مصر المعاصرين. وليس هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال المتوفى سنة 748هـ.

(2) - التفسير والمفسرون 2\495 .

(3) - القرآن والإنسان وجهاً لوجه . النيفر ص22

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

المادية ، فعقم أكثرهم عن الإنتاج العلمي الرصين، واكتفوا بالكتب التدريسة للمقررات الجامعية، وأكثرهم استغرفتهم محاضراتهم الوظيفية ، فمرت سنوات أعمارهم ولم يخط الواحد منهم أبيض على أسود .

2- أصيب كثير من المتأخرين بعقدة تقديس القديم ؛ فصاروا يتوهمون أن العلم والصواب قد انحصرا فيما سطره الأسلاف؛ حتى إذا ما كتب أحدهم المعاصرين شيئاً حاذر أن يأتي بجديد. وكأن التجديد صار جريمة منكرة، والتحديث جريمة منفرة. كل هذا في غفلة عن أن التجديد في الدين هو سنة من سنن الله تعالى، وأنه مقوٍ من مقويات الدين وعلومه. لذلك أعلن النبي عليه السلام، ذلك الحديث العظيم الذي ورد من رواية أبي هريرة مرفوعاً { إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها }⁽¹⁾.

إن ذاك الحال الذي ذكره الشيخ الذهبي هو منتج أصيل من منتجات المنهج الانغلاقي التجميدي ، الذي صار فيه المفسر مجرد راكب على أكتاف السلف ، لا دور له غير النقل ، ثم النقل ، ثم النقل .

إنها منهجية رجوعية لم تنتج غير تفاسير مستنسخة، كشفت أن كثيراً ممن ظنناهم-في صغرنا- مفسرين، لم يكونوا أكثر من وراقين نساخين . مع استثناءات معدودة نربأ بها عن مماثلة من اكتفوا باستنساخ ما كتبه الأسلاف، ثم تصديره للقراء حاملاً أسماءهم ، إن عملهم سرقة غير معلنة ، لكنها على كل حال مكشوفة ، اجترحها من ارتضوا بقاء الأفعال على قلوبهم .{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}؛(سورة محمد 24).

ولست أريد أن يفهم أحد من كلامي أنني أدعوا إلى قطيعة مع التراث التفسيري الذي خلفه السلف، بل أقول إن ذاك التراث التفسيري هو ثروة مهمة، وكنز ثمين، يجب التواصل معه، والامتياح من ينابيعه، والاستنارة به، لكن على نحو لا يقود إلى الجمود، وإلى كبت ما من الله به علينا من نعمة الفهم، والعقل، والتدبر، والنظر. كما

(1) - حديث صحيح من رواية أبي هريرة مرفوعاً. خرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم. باب: ما يذكر في قرن المئة. رقم 4291، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم 2941. واللفظ هنا لأبي داود

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجمي، والنوجمة النجمي

أريد ألا يكون قدوتنا أولئك الذين {قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا} (المائدة 104) بل أن يكون منهجنا قول من قال (يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني)⁽¹⁾.

مما يُحزّن له أن من بدأ عملياً - من المفسرين المعاصرين - في انتهاج منهج جديد للتفسير، جاء فاقداً للقوة العلمية المؤهلة، التي تقوم على متانة البنية التحتية للعملية التفسيرية، أعني متانة وقوة العلوم المعينة على فهم وإدراك لغة القرآن، وأساليبه العربية، ومقاصده الاشتراعية. تلك العلوم المؤهلة أقصد بها علوم: النحو، والبلاغة، واللغة المعجمية، وعلم الحديث، والفقه والمقاصد، وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه.

هذه الذخيرة المعرفية من العلوم لا يمكن الاستغناء عنها في طريق سبر أغوار القرآن المجيد، لكنها كانت غالية، وشاقة، ومنهكة، أمام أكثر من امتلكوا نوازع تجديدية، وحساً تطويرياً لمناهج مقارنة القرآن؛ فجاءت أعمالهم هيئة القدر، واهية الأثر؛ ففارقها التحقيق، وزايلها التوفيق، واكتنفها الوهن. من ذلك مثلاً أعمال ومحاولات جزئية ومفرقة كل من: مصطفى محمود، وصادق النهم، ومحمد شحرور، ونيازي عز الدين. وقد اسندوا كثيراً من فهمهم وطروحهم إلى التأويل، في إجراءات غير منضبطة بضوابطه، في سياقات تلفها الحماسة للتجديد، وتلفها مشاعر التبرم والملل من القديم، ومُخرجاته التفسيرية.

إن هذا الضرب من التأويل له مباحث، إما معرفية بريئة، وإما غرضية غير بريئة. ولست هنا ممن يجازف باتهام نوايا الناس ومقاصدهم، لذلك لا أقول إن وراء تلك التأويل المنحرفة مقاصد غرضية تنقص الدين أو التراث، بل إن أمرها رهن لنوايا أصحابها التي لا يعلمها غير الله، وإياهم.

(1) - أشهر من نسب إليه هذا الدعاء ابن تيمية الحراني رحمه الله

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

في هذا السياق ذكر ابن القيم أربعة أسباب، هي المسؤولة عن النزوع نحو هذا الضرب من التأويل: ((اثنان من المتكلم واثنان من السامع ، فالسببان اللذان من المتكلم: إما نقصان بيانه ، وإما سوء قصده . واللذان من السامع: إما سوء فهمه، وإما سوء قصده. فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة انتفى التأويل الباطل وإذا وجدت، أو بعضها وقع التأويل))⁽¹⁾.

وليس بغارِبِ عنا ما يعانیه أكثر الحُدثاء من اضمحلال موهبة البيان، الذي هو من أسس الأداة اللغوية التعبيرية، حيث انصرف أكثر المشايخ، والباحثين، والناظرين في العلم إلى الاكتفاء بنتف من العلوم، وعينات من الكتب، بديلاً عن الاستغوار في اللغة ومباحثها، والبلاغة وجوانبها، والاستعماق في العلوم وتفاريحها؛ على نحو يؤهل صاحبه إلى أن يكون ذا بيان مبين، وكلام قويم؛ بحيث لا يُعجزه عن إظهار قصده، ضعفٌ في اللغة، ولا يحجزه عن إبانة مراده وهن في التعبير.

أما ما يتصل بسوء القصد، فليس في الإنصاف التسرع في اتهام النيات، وتجريم القلوب. وهذا لا يعني نفي وجود مقاصد سيئة، وأوطار مبيتة، وأفكار مغرضة، يبثها بعض الكاتبين، وينشرها بعض المفسرين، لا لوجه الله بل لوجه الفتنة، وتشويه الدين. لكن الموقف الذي أفضله هو الاكتفاء بتخطئة المخطئ ، وتنبيه المنحرف عن الصواب، من غير اتهام نيته دون برهان قاطع، ثم توكيل الأمر لله فهو الذي يفصل بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

(1) ابن القيم (الفصل الحادي والعشرون: في الأسباب الجالبة للتأويل. ص -500-

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

أما ما نراه في عصرنا من تسارع في اتهام المقاصد والنيات، وتطاول في التنازب واللجاج ، وتسابق في تجريم القلوب ، وتخوين الضمائر، فهو من باب سوء الأدب، ورقة الدين، ووهن العلم، ثم هو قفو لما لاعلم لنا به.

قال تعالى {ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً} (1).

(1) -سورة الإسراء. الآية 36 .

نظرية صمت القرآن

إن أهم وأشهر من تبناها وصرح بها كل من: محمد أركون ، وعبد الكريم سروش. كذلك تبناها حسن حنفي .

قال سروش : ((القرآن بنفسه لا ينطق، فنحن الذين ننطق عنه، ونتحدث بلسانه))⁽¹⁾. كما أن أركون قال - قبله- بكل ثقة: ((القرآن كتاب صامت)).⁽²⁾ أما حسن حنفي فقد اجترأ على أن يقول ((النص قالب دون مضمون))⁽³⁾.

إن هاته النظرية تنطوي على وجوه خطر محيقة بالقرآن في سياق فاعليته الاشتراعية، وصلته التوجيهية بالمكلفين. إنها نظرية تقول إن القرآن نص ليس يحمل معنى غير الذي يودعه المفسر والمؤول فيه. هذا القول يقتضي فراغ الرسالة الإلهية من التشريع الإلهي، ومن المعاني التي أرادها الله تعالى أن تصل للمكلفين.

إنها نظرية تقطع الطريق أمام مراد الله أن يصل إلى العالمين، و تعزل توجهاته المودعة في القرآن أن تبلغ القارئين. إنها نظرية تتيح وتسوغ لكل أحد أن يقول ما يشاء باسم الله، إنها عملية محو صفيقة للرسالة الإلهية. تشبه أن يعطيك أحداً ما مجلداً من صفحات بيضاء فارغة، ويقول له هذا هو القرآن. وهذه هي رسالة الله.

تقتضي هذه النظرية أن يصير النص القرآني نصاً صامتاً، ليس لله تعالى فيه دور؛ حيث يناط الدور الأساس بالقارئ؛ لينطق القرآن بما شاء.

(1) - بسط التجربة النبوية. ترجمة: أحمد القبانجي. دار الانتشار العربي. بيروت ط 1. 2009 م ص 321

(2) - لقاء شخصي بطرابلس. ليبيا. فندق كورنثيا. 2006 م

(3) - من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (1/397-398).

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

إنه تصور خطير على القرآن ، أن يقال عنه إنه نص صامت. بهذا الوصف والفهم ، يتم تغييب الله تعالى نفسه، ويتم كبت وكتم معانيه التي أودعها القرآن، وفي هذه النظرية كذلك إلغاء لدوره تعالى ، حيث يستحيل إلى مجرد رسول سَلَّم لنا القرآن؛ لننطق نحن ، إنها كارثة في عالم الدين و القرآن ان يصير الإله رسولاً.

إن هذه النظرية تبدو لي عملية التفاف على النص القرآني ، وهروباً -قد يكون واعياً أو غير واعٍ- من مواجهة تكليفاته، وتشريعاته، التي لم تستسغها عقولهم، ولم تتواءم معها نفوسهم؛ فقالوا إن القرآن يقول أشياء غير ما تبدوا منه، فتولوا مهمة الكلام والتشريع، ضمن عملية انقلاب مريع، وطرح فظيع، ونهج شنيع . كل ذلكم تحت مظلة التجديد ومساوغة الحداثة.

ولعل من صور تطبيق هاته النظرية -بنحو غير مباشر- ما نراه من تكلفات التأويل، والاعتساف في تحميل القرآن ما لا يحتمله من معانٍ ودلالات، فالمفسر والقارئ المتعسف هنا قائم بمهمة تفرغ القرآن من دلالاته ومعانيه، حين يجعل من ألفاظه وآياته مجرد أوعية فارغة ؛ يصب فيها ما شاء مما رأى واستحسن، على وجه التأويل المتكلف البعيد غير المحتمل. من هذا الباب صرح حسن حنفي في كلام خطير قائلاً ((لا يوجد نص إلا ويمكن تأويله ، ولا يعني التأويل هنا بالضرورة إخراج النص من معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقريئة، بل هو وضع مضمون معاصر للنص؛ لأن النص قالب دون مضمون))⁽¹⁾.

إن هذا النوع من التأويل المنفلت، هو صورة غير مباشرة لنظرية صمت القرآن، فكلاهما يقتضي أن يضع القاري المعنى الذي يراه ويودعه قالباً قرآنياً ، ثم يسبغ عليه مسوح العصمة وكأن الله قاله أو أرادته ، في حين إنه ليس غير رأي بشري، بل في كثير من الأحيان نجده مجرد هراء وهذيان بشري.تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(1) - من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (397/1-398).

ومن المثالات التي تساق في هذا الموضوع ما ورد عن بعض الباطنية من تعسف تأويلي من مثالاته :

- قولهم إن المراد بالصلاة : صلة الداعي إلى دار السلام. والزكاة: إيصال الحكمة إلى المستحق. والصيام: كتمان أسرارهم. والحج: السفر إلى شيوخهم. والجنة: التمتع في الدنيا باللذات، والنار: التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها. والملائكة والشياطين: قوى النفس الطيبة والخبيثة. وأن معنى قوله: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: 18]: إلى الأرواح كيف جالت في الغيوب، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 91] إلى قلوب العارفين كيف أطاقت حمل المعرفة. (1)

وقال بعضهم إن قوله تعالى مخاطباً موسى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12] أن المقصود بالتعلين هما النفس والجسد؛ هوى النفس وملذات الجسد. (2)

إننا سنوغل في العبث بالقرآن لو تبيننا كل قول قاله الناس فيه، دون ضوابط تفسيرية وتأويلية، تبعد عنه محاولات تفرغ وإسكاته. لن يكون في صالح القرآن أن نقبل مثل قول أركون حين قال ((القرآن هو نص مفتوح لجميع المعاني، ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفده بشكل نهائي)) (3). أو قول حسن حنفي ((النص قالب دون مضمون)) (4).

إن من أوضح المحاذير التي نتوقعها من انتهاج نظرية صمت القرآن؛ أن يصير القرآن إلى حال التوراة، والإنجيل، حيث صار مجرد كتابين لا أثر لهما في حياة أتباعهما، الذين صاروا (لا ينتفعون مما فيهما بشيء)

(1) حقائق التفسير للسلي ص(365).

(2) القرآن محاولة لفهم عصري. مصطفى محمود (135).

(3) تاريخية الفكر العربي الإسلامي. محمد أركون ص (145).

(4) - من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (398-397/1).

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

حسب تعبير النبي عليه السلام، في الحديث الوارد من رواية زياد بن ليبيد، الذي قال: ((ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنَقْرَأُ أَبْنَاءَنَا، وَيَقْرَأُ أَبْنَاءُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «تَكَلَّتْ أُمَّكَ يَا ابْنَ أُمَّ لَيْبِيدُ؛ إِنْ كُنْتُ لِأُرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ، أَوْلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ»⁽¹⁾.

ومما يقتضي القول بصمت القرآن طرح الكثير من الحدباء رأيهم القائل إن القرآن كله قائم على دلالات مفتوحة واحتمالية، مما يقتضي استبعاد الدلالات المحددة، والمعاني الجلية الممثلة لخطاب الله تعالى للناس والمكلفين. قال (أركون) ((إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر))⁽²⁾.

وفي معناه قول (علي حرب) بأنه مفتوح على كل المعاني وكافة التأويلات، بحيث يمكن أن تتمرأى فيه كل الذوات، وأن تقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع⁽³⁾.

(1) خرجه ابن ماجه (4048) وصححه الألباني في المشكاة (277).

(2) -تاريخية الفكر العربي. محمد أركون ص 145

(3) - نقد النص. علي حرب. ص 87

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

العملية التفسيرية بين الانغلاق والانفلات:

يكثُر في الدراسات الحديثة الاعتراض على دور المفسرين القدماء، والإزاء بجدوى الجهود التفسيرية القديمة كلها، بل قد نحا الكثير من المعاصرين إلى تجريم دور المفسرين وأعمالهم التفسيرية، وتحميلها أوزار سوء فهم الناس، واضطراب علاقاتهم بمعاني القرآنية. كل ذلك يسوقه أولئك الكتاب الحُدثاء في تعميمات وإطلاقات تطال علم التفسير القرآني بعامة، والمفسرين بوصف شامل. وهذا أمر لا تقبله الروح النقدية المنصفة. فهو موقف أقرب للنقد الأهوج الأعشى، من جهة أصحاب المذهب الانفلاتي وله - على كل حال - دوافع منها:

1 - شدة ما أصاب تفسير النص القرآني من سوء فهمٍ، وغبش بيانٍ، وخلط معانٍ، وما دخله من خرافات مُهوشة، ودخائل مشوشة، لا تليق بهيبة، وقدسيتها النص المجيد.

2 - النزوع الرجوعي من طرف كثير من المشايخ المكتفين بقديم التفاسير، المدعين أن صوب التفاسير انحصر في ما سطره الأقدمون، وأن الحق في ذلك مراد الله تعالى محصور في حقبة أسلافنا دون غيرهم، وأن حُدثاء المفسرين ليس لهم صلاحية الاجتهاد، أو مخالفة المعاني التي ظهرت للأسلاف من داخل القرآن أو الخروج عن اختياراتهم.

. وأنا أطلق على الأول: المذهب الانفلاتي، وعلى الآخر: المذهب الانغلاقي. وفيما يتلو قدر من التفصيل المتعلق بهما.

الأول: المذهب الانفلاتي:

هو توجه ينزع نحو الانفلات من الرصيد التفسيري الموروث، متجاوزاً مرحلة التصفية والغربلة والتنقيح التي يجب المرور بها؛ لأجل الوصول إلى تراث تفسيري قويم نافع. هذا المذهب الانفلاتي ينطلق إلى مرحلة القطيعة

منهجية التفسير القرآني بين النُجْم النجمي، والنُجْم النجمي

مع الموروث التفسيري ضمن سياق استعلائي، عدواني غير قانع بجدوى التدقيق، والمصالحة، مع التراث التفسيري، ومنتجيه، وأتباعه؛ فيراه تركةً ثقيلةً يجب التخفف منها، والازورار عنها.

إن هذا المذهب الانفلاتي لا ينفك يصطنع مناهج ومسارب يقصد من خلالها مقارنة واستحلاب النص القرآني؛ كي يجبره على إنتاج معانٍ خارجة عما أنتجه القدماء، وما استقر في المنظومة التفسيرية. وكثيراً ما يعتمد على الترميز، والتأويل الغالي، بل يتجاوز ذلك إلى تبني نظرية (صمت القرآن) التي سلف منا عرضها ونقدها قبل قليل من هذا المبحث، مما انجر عنه الخروج بأراء صادمة وعائلة عن مقاصد، ودلالات، النص القرآني. من ذلك ما رأيناه في كتابات كثيرين منهم: الصادق النيهوم، ومحمد شحرور، وحسن حنفي، وممد أركون.

ومن مثالات ذلك قول أحدهم ((الجنة والنار هما النعيم والعذاب في هذه الدنيا، وليس في عالم آخر يحشر فيه الإنسان بعد الموت؛ الدنيا هي الأرض، والعالم الآخر هو الأرض؛ الجنة ما يصيب الإنسان من خير في الدنيا، والنار ما يصيب الإنسان من شرِّ فيها)).⁽¹⁾

ويقول ((أمور المعاد هي الدراسات المستقبلية بلغة العصر، والكشف عن نتائج المستقبل ابتداءً من حسابات الحاضر)).⁽²⁾

و((أن المقصود بالنفخ في الصور، وقيام الساعة: صراع المتناقضات)).⁽³⁾

(1) من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (601/4).

(2) من العقيدة إلى الثورة (605/4).

(3) الكتاب والقرآن. محمد شحرور (236، 237).

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

«أما الحور العين والمليكات فهي تعبير عن الفن والحياة بدون قلق»⁽¹⁾. ولا يغيب عنا أن هذا النوع يرتبط بأصرة شديدة بما عُرف في تراثنا باسم التفسير الإشاري، الذي يرتبط احتوائية بما عرف بالتفسير الباطني، ولعل أوضح فارق بينهما أن أهل التفسير الباطني يرون أن ما يقولونه هو المراد من الآيات جزءاً دون غيره، أما أهل لتفسير الإشاري فيوردون تفسيرهم وإشاراتهم بوصفها لطائف ومقاصد إلهية، من غير مصادرة ما يسنح من الآيات بمقتضى ظاهر دلالاتها⁽²⁾.

الثاني: المذهب الانغلاق:

هو مذهب الذين عملوا على تغليق الأبواب في وجه التفاسير والفهوم الجديدة، والمعاني المبدعة من طرف حُدثاء المفسرين، الذين فتح الله عليهم بمعانٍ لم تطابق ما فتح به على الأسلاف، من معانٍ استنبطت من القرآن؛ فصاروا يبدعون كل فهم للقرآن جديد، لم يسبق الأولون إليه، ويغمطون كل تفسير للقرآن حديث، لم ينطق الأسلاف به.

إن هذا لهو الانغلاق برأسه الذميم. حين يحجر على الناس والعلماء المعاصرين ممارسة ما حثم الله تعالى عليه حين قال {أفلا يتدبرون القرآن}⁽³⁾ والانغلاقيون بهذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فربَّ مريد للخير، لا يبلغه. ورب قاصد للحق، لا يحسنه. ورب طالب للصواب لا يبصره.

(1) العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية لتركلي علي. (140-141). نقلاً عن: بدعة إعادة فهم النص. محمد المنجد. ص66.

(2) -للتفصيل في التفريق بين التفسير الإشاري، والتفسير الباطني انظر (التحرير والتنوير) لابن عاشور. 43/1. و(أثر الفكر الصوفي في التفسير: دراسة ونقد) بهاء الدين حسن سليمان. رسالة ماجستير. ص46

(3) - (سورة محمد. الآية 24)

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

إن هذا المذهب التجميدي لهو من أشد الأخطار على كتاب الله، الذي لا تنقضي معانيه، ولا تنفذ مراميه ،

ولا يَخْلَق من طول النظر، ولا تغمره ادعاءات البشر.

هما إذاً مذهبان –الانفلاتي ، والانغلاقي- لا يزالان يعملان في ساحة علوم القرآن – و لاسيما التفسير- لكل

منهما رواده ومنظروه وحواريوه، وراغبوه وداعموه . وفي كل منهما ضرر عميم، وخطر عظيم ، وأثر ذميم.

وظائف المفسر

من قصر النظر أن لا نرى في المفسر غير ناقل لكلام من سبقه، وأن يركن المتخصص في التفسير إلى هذا القدر من الجهد. ومن المعيب أن يقصر المفسر مهمته على اجترار ما كتبه غيره، ثم لا يضيف شيئاً أكثر من كتابة اسمه على غلاف كتاب في التفسير يطبعه.

إن السعي إلى الخروج من حالة تجميد التفسير، يقتضي زيادة مسؤوليات المفسر؛ بإثقال عمله بمهام جديدة تضاف إلى مهمة الشرح والإبانة، للمفردات والتراكيب، والمعاني المودعة في القرآن المجيد. فهذه مهمة توضيحية سيطرت على تطبيقات التفاسير التقليدية، مغفلة أن على للمفسر دوراً آخر عليه إنجازه، ذلكم هو ربط القرآن بالحياة ربطاً مباشراً، وجعله ملاسماً لدقيقات، وتفصيلات حياة الناس، سواء في بيوتهم، أو أسواقهم، أو مساجدهم، في سلمهم، أو حرهم.

إن هاته المهمة الجليلة لا تقتضي، ولا تُسوّغ لنا الإغضاء عن نفعية الدور التقليدي للمفسر- أعني الشرح والتوضيح- ولا الإزراء بما وصلنا من تفاسير معتمدة على تلك المهمة، فهي على كل حال مهمة يحتاجها كل قارئ ومطالع للقرآن. لكن الخطر يتجسد، والقصور يتشكل في الاقتصار عليها. وليست أوافق الشيخ أمين الخولي في دعوته المفسرين إلى ترك تلك الوظيفة الشرحية الإبانية، ودعوته للكف عن استنطاق النص، متوهماً-رحمه الله- أن ذلك ((يخرج بالقرآن عن وضعه، ويناقض الحكمة الإلهية، والغرض من وصله بحياة الدين والدنيا))⁽¹⁾.

المهمة التفسيرية هي أهم وأخطر مما تبدو أول النظر، فالتفسير القرآني ليس مجرد بيان لمعاني كلمات ومفردات، وتوضيح لتراكيب جمل ودلالات. بل إن التفسير هو الناقل الأساسي لحقيقة الدين، بوصفه

(1) -مناهج تجديد النحو والبلاغة...، أمين الخولي. ص.302. نقلاً عن الإنسان والقرآن: وجهاً لوجه. خميدة النيفر. ص.83

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

موضوعاً من جهة الإلاه رب العالمين. بمعنى إظهار الشريعة الإسلامية، بما تحمله من أحكام تكليفية ووضعية- بالمعنى الأصولي- أي أن التفسير هو المصدر الإيضاحي الأول لأحكام الإلاه الموجهة للمكلفين، فضلاً عن كونه المصدر الإيضاحي الأساسي لمنظومة العقائد النظرية الضابطة لإيمان المؤمنين، وإسلام المسلمين.

تعقيل الفهم القرآني:

أعنى -هنا- تفعيل دور العقل في فهمنا للمعاني القرآنية، إن تعقيل الفهم يستوجب تخليص المعاني القرآنية من الفهوم الخرافية الطافحة بها كثيرات من التفاسير القديمة والحديثة، التي كان أصحابها كحاطبي ليل، لا همّ لهم غير جمع المرويات، وتكديس القصص؛ ثم حشرها في تفاسيرهم، وحشدها بين أضيابهم، بعيداً عن مسبار التعقل، وقسطاس التدبر.

ومن أكثر مصادر هذا النوع نجد تفاسير الصوفية، والإسماعيلية، وبقدر أقل نسبياً عند الإمامية. وما أبرىء أحداً إلا أن تفاسير فرقة أهل السنة -مقارنة بغيرها من الفرق- هي أنقى تفاسير المسلمين وأبعدها عن التخريف والتحريف.

لا جرم أن عدم الاعتناء بتعقيل الفهم القرآني قد أفضى إلى شيوع ما أسميه (تخريف الفهم القرآني) أي لَقَه في حلة خرافية لا يُرى القرآن خلالها إلا نصاً سرّياً، غامضاً، عائماً، غائماً؛ لا تكاد تحصيل منه معنى يساوق السلامة العقلية، أو يجاري البراءة الفطرية، أو يطابق المقاصد التشريعية، أو يماشى الدلالات اللغوية.

لا يغيب عنا أن المرجع والمنهل في ذلك كله-أي تخريف النص القرآني- مائل في مصادر متعددة هي: الموروث اليهودي، والمسيحي، والفارسي، إضافة لما دلّقه القصاصون المسلمون من خيالاتهم، فضلاً عن غرائب غلاة

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

الصوفية، الذين إن برأناهم عن تحريف القرآن ، فلا نبرئهم عن تخريفه. ولئن كانت البليتان قد أصابتا كتابي أهل الكتاب، فلا ريب قد أصابتنا إحداهما .

وقد أعان على ذبوع التخريف الفهمي، ما استملحه كثير من المفسرين، ولا سيما من الصوفية، والغنوصيين، حين أقرروا وأشاعوا أن للقرآن طبقتين: الأولى للمعنى الظاهر، والأخرى تضم معنىً باطنياً. وأودعوا تحت المعاني الباطنة ما الله به عليم من الخرافات، والتمويهات، والخيالات، التي شكلت حمولة ثقيلة شوشت على صفاء المعاني القرآنية الطبيعية المتبادرة من المعاني اللغوية السائرة على سنن لغة العرب، ومقاصد عبارات لسانهم المبين.

من مثالات ذلكم: ما ورد في تفسير التستري: ((قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . قال: ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة ، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح فليقاتله العبد بسيف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة، ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوباً))⁽¹⁾.

وفي تفسيره سورة الفتح قال سهل التستري ((قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . قال: يعني أسرار العلوم في قلبك حتى ظهر عليك آثارها، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .

(1) - تفسير التستري. 149/1. هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري. ولد بمدينة تستر في سنة مئتين، وقيل: إحدى ومئتين، أما وفاته فكانت بالبصرة سنة (283 هـ) وقيل سنة (273 هـ) وقيل (293 هـ). انظر ترجمته وأخباره في المصادر الآتية:

الأعلام 3/ 143 والأنساب للسمعاني 1/ 465 والبداية والنهاية 1/ 182 (حوادث سنة 283 هـ) وتاريخ الأدب لبروكلمان 4/ 13 وتاريخ التراث العربي 1: 29/4-30 وولية الأولياء 10/ 190-212

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

قال: أي ما تقدم من ذنب أبيك آدم صلوات الله عليه ، وأنت في صلبه، وما تأخر من ذنوب أمتك، إذ كنت قائدهم ودليلهم.))⁽¹⁾

إن تعقيل الفهم إجراء مصادم لتخريف الفهم، والقراع بينهما هو أحد التحديات التي تواجه المسعى التجديدي للعملة التفسيرية.

إن تعقيل الفهم هو قرين التدبر القرآني، واستجابة للنداء المقدس، المفهوم من قوله جل وعز {أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها}؟

(أمثلة لتخريف الفهم)

إني سارّد عليك فيما يلي بعضاً من مثالات التخريف الذي شوهت به تفاسير القرآن المجيد. من لدن تفسير مقاتل بن سليمان (151هـ)، مروراً بعلاء الدين الخازن (741هـ)، وصولاً إلى جلال الدين السيوطي (911هـ) – رحمهم الله- حيث يتحملون وزراً ثقيلاً ظاهراً مما انتشر في التفاسير التي اهتمت بتحشيد الروايات، واهتبات الغرابات، واحتطاب النقول، وتكديس الواهيات، دون تبصر، ولا تدبر، ولا تفكر.

فمما ورد من ذلك ضمن قصة بلقيس ملكة سبأ ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ⁽²⁾ فقد ذكر ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، والخازن، وغيرهم: "أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقبل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شَعْرَاءُ السَّاقِينَ، فأمرهم، فبنوا له

(1) - نفسه 1/147.

(2) - سورة النمل: الآية 44

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

هذا القصر على هذه الصفة ، فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقها لتخوضه ، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا ، إلا أنها كانت شعراء الساقين ، فكره ذلك ، فسأل الإنس ما يذهب هذا ؟ قالوا : الموسى ، فقالت بلقيس : لم تمسني حديدة قط ، وكره سليمان ذلك ، خشية أن تقطع ساقها ، فسأل الجن : فقالوا : لا ندري ، ثم سأل الشياطين ؟ فقالوا : إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء ، فاتخذوا لها النورة ، والحمام ، فكانت النورة والحمام من يومئذ)).

وقد نسب هذا الهراء إلى كل من : ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدي ، وابن جريج وغيرهم.

وروي أيضا : (أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين قالت له : أريد ماء ليس من أرض ولا من سماء. فسأل سليمان الإنس ، ثم الجن ، ثم الشياطين ، فقالت الشياطين : هذا هين ، أجز الخيل ، ثم خذ عرقها ، ثم املاً منه الأنية ، فأمر بالخيل فأجريت ، ثم أخذ العرق فملاً الأنية.

وسألته عن لون الله عز وجل فوثب سليمان عن سريره ، وفزع من السؤال ، وقال : لقد سألتني -يا رب- عن أمر ، إنه ليتعاضم في قلبي أن أذكره لك ، ولكن الله أنساه ، وأنساهم ما سألته عنه.)

ومما نسج من خرافات ، ما حشر في تفسير قصة نبي الله داوود: ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والبغوي ، والسيوطي⁽¹⁾ عن ابن عباس ، ومجاهد ، ووهب بن منبه ، وكعب الأخبار ، والسدي ، وغيرهم ما محصلها : أن داوود عليه السلام حدث نفسه : (إن ابتلي ، أن يعتصم . فقل له : إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبلى فيه ، فخذ حذرک ، فقل له : هذا اليوم الذي تبلى فيه فأخذ الزبور ، ودخل المحراب ، وأغلق بابه ، وأقعدَ خادمه

(1) - الدر المنثور ... 5 / 300-302

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجمي، والنوجمة النجمي

على الباب ، وقال : لا تأذن لأحد اليوم . فبينما هو يقرأ الزبور ، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه ، فدنا منه ، فأمكن عليه لينظر أين وقع ، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض ، فلما رأت ظله نفضت شعرها ، فغطت جسدها به ، وكان زوجها غازيا في سبيل الله ، فكتب داوود إلى رأس الغزاة : أن اجعله في حملة التابوت (صندوق فيه بعض مخلفات أنبياء بني إسرائيل فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا) ، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم ، وإما أن يقتلوا ، فقدمه في حملة التابوت ، فقتل ، وفي بعض هذه الروايات أنه فعل ذلك ثلاث مرات ، حتى قتل في الثالثة ، فلما انقضت عدتها ، خطبها داوود عليه السلام ، فتسور عليه الملكان ، وكان ما كان ، مما حكاه الله تعالى) : "رُفِعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ". ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين ، ومسلمة أهل الكتاب بل جاء بعضها مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قال السيوطي : وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم بسند ضعيف ، عن أنس رض الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن داوود عليه السلام حين نظر إلى المرأة ، قطع (هي هكذا في "الدر المنثور" وفي تفسير البغوي ولعلها قطع.) على بني إسرائيل وأوصى صاحب الجيش ، فقال : إذا حضر العدو فاقرب فلانا بين يدي التابوت" ، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم معه الجيش ، فقتل ، وتزوج المرأة ، ونزل الملكان على داوود عليه السلام فسجد ، فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه ، فأكلت الأرض جبينه). إن مثل هذا الهراء حقيق بمن يقصه أن يقرع بالعصا ، حتى يكف. فكيف يرتضي بعضهم أن يودعوه ويحشروه ، في كتب التفسير بوصفه من تفسير كلام الله تعالى. ؟

وذكر البغوي في تفسيره وغيره ، عن وهب بن منبه : أن داوود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ، لا يكفّ دمه ليلاً ، ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة ، وهو ابن سبع وسبعين سنة ، فقسم الدهر بعد الخطيئة

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

على أربعة أيام : يوم للقضاء بين بني إسرائيل ، ويوم لنسائه ، ويوم يسيح في الفيافي ، والجبال ، والسواحل ، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ، فيساعدونه على ذلك ، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي ، ويبكي معه الشجر ، والرمال ، والطير ، والوحش ، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي ، وتبكي معه الجبال ، والحجارة ، والدواب والطير ، حتى تسيل من بكائهم الأودية ، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي ، وتبكي معه الحيتان ، ودواب البحر وطير الماء والسباع⁽¹⁾.

ومن الإسرائيليات في قصة سليمان عليه السلام: ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} (ص 34). كابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والثعلبي ، والبغوي ، وغيرهم ، وذكر كل ما روى السيوطي ، في " الدر المنثور " : أخرج النسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، بسند قوي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال : أراد سليمان -عليه السلام- أن يدخل الخلاء؛ فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي ، فأعطته، فلما لبسه ، دانت له الجن ، والإنس ، والشياطين ، فلما خرج سليمان -عليه السلام- من الخلاء ، قال لها : هاتي خاتمي ، فقالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت ، لست سليمان ، فجعل لا يأتي أحداً يقول له : أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأى ذلك؛ عرف أنه من أمر الله -عز وجل- وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان -عليه السلام- سلطانه ألقى الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلى نساء سليمان -عليه السلام- فقالوا لهن : أياكم من سليمان شيء ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن حيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان

(1) - تفسير البغوي على هامش ابن كثير ج 7 ص 195.

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجمي، والنوجمة النجمي

أنه قد فطن له : ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتباً فيها سحر ، ومكر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها ، وقرؤها على الناس ، قالوا : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، ويغلبهم ، فأكفر الناس سليمان ، فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم ، فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة ، فأخذته ، وكان سليمان -عليه السلام- يعمل على شط البحر بالأجر ، فجاء رجل ، فاشترى سمكاً ؛ فيه تلك السمكة في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان -عليه السلام- فقال له : تحمل لي هذا السمك ، ثم انطلق إلى منزله ، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان -عليه السلام- فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذه ، فلبسه ، فلما لبسه دانت له الإنس ، والجن ، والشياطين ، وعاد إلى حاله ، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان -عليه السلام- في طلبه ، وكان شيطاناً مريدًا يطلبونه ولا يقدرين عليه حتى وجدوه يوماً نائماً ، فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص ، فاستيقظ ، فوثب ، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص ، فأخذوه وأوثقوه : وجاءوا به إلى سليمان -عليه السلام- ، فأمر به ، فنقب له في رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به ، فطرح في البحر ، فذلك قوله {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً...} ، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه.

إن من وجوه الاستهانة بكلام الله تعالى ، والإجراء بعلم التفسير أن يرتضي المفسر سرد مثيلات هاته الخرافات

السمجة ، والأكذوبات المسيخة.

ولقد روى السيوطي في "الدر المنثور" روايات أخرى ، عن ابن عباس وقتادة ، في أن (هذا الشيطان كان يسمى صخرا ، وروي عن مجاهد : أن اسمه آصف ، وأن سليمان سأله : كيف تفتنون الناس ؟ فقال الشيطان : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان ، وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ،

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

حتى كان ما كان من أمر السمكة ، والعثور على الخاتم ، ورجوع ملك سليمان إليه. غير أن في رواية قتادة ، ومجاهد : أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان ، ومنعهن الله منه ، فلم يقربهن ، ولم يقربنه .

ومما اختلق في قصة سيدنا أيوب ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : {وَإِذْ كُرَّ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ، وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (1) ذكر السيوطي في " الدر المنثور" وغيره ، عن قتادة في قوله تعالى : {وَإِذْ كُرَّ عِبْدَنَا أَيُّوبَ}... الآية ، قال : ذهب الأهل والمال ، والضر الذي أصابه في جسده ، قال : (ابتلي سبع سنين وأشهرًا ، فألقي على كنانة بني إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج الله عنه ، وأعظم له الأجر ، وأحسن .

قال : وأخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ، وابن عساکر عن ابن العباس رضي الله عنهما ، قال : إن الشيطان عرج إلى السماء فقال : يا رب سلطني على أيوب عليه السلام ، قال الله : قد سلطتك على ماله ، وولده ، ولم أسلطك على جسده ، فنزل : فجمع جنوده فقال لهم : قد سلطت على أيوب ؛ فأروني سلطانكم فصاروا نيرانًا ، ثم صاروا ماء ، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق ، فأرسل طائفة منهم إلى زرع ، وطائفة إلى أهله ، وطائفة إلى بقره ، وطائفة إلى غنمه ، وقال : إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف : فأتوه بالمصائب بعضها على بعض ، فجاء صاحب الزرع فقال : يا أيوب ، ألم ترَ إلى ربك ، أرسل على زرعك عدوا ، فذهب به ، وجاء صاحب الإبل ، وقال : ألم ترَ إلى ربك أرسل على إبلك عدواً ، فذهب بها ، ثم جاء صاحب البقر ، فقال : ألم ترَ إلى ربك أرسل على بقرك عدواً ، فذهب بها. وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ، ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت ، فألقته عليهم ، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام ،

(1) -سورة ص : 41-44.

فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، بينما هم يأكلون، ويشربون؛ إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فلو رأيتم حين اختلطت دماؤهم، ولحومهم بطعامهم، وشراهم، فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدني أمي، فقام، فحلق رأسه، وقام يصلي، فرن إبليس رنةً سمع بها أهل السماء وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أي رب، إنه قد اعتصم، فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسطانتك، قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب، قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعث قروني [أي ظفائر شعري] برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، ويريحك، قال: ويحك؛ كنا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوماً فأخذ بيده، ثم قال: قم: فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضاً، فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}، وألبسه الله حلة من الجنة. فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هنا، لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب، قد رد الله علي جسدي. ورد الله عليه ماله، وولده عياناً ومثلهم معهم...) (1).

لعل أحداً يقول لم تعترضون على مثل هاته المروييات وقد جاء الإذن من رسول الله بالتحديث عن أهل الكتاب؟ فأقول إن ما ضمته كتب أهل الكتاب فيه النافع من قصص وعظية، ومعلومات متوافقة مع ما ورد في القرآن

(1) - الدر المنثور. 5 ص 315-316. وينظر مثلاً ما أورده الخازن في تفسير آية {وإذ فرقنا بكم البحر...} وآية {إننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...}.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

المجيد، كما أن فيه خرافات، وسماجات، وهراء يجب أن ننزه تفاسيرنا عن أن تلبس به، أو أن يخالطها. لذلك يجب التفريق بين ذين النوعين مما هو ماكث في بطون كتب أهل الكتاب.

ولست أترك التنبيه إلى نوع من التفسير هو داخل في نطاق ما سميته تخريف القرآن، وهو ما عرف باسم التفسير الإشاري، فرغم انطوائه على بعض المقولات والإشارات اللطيفة الدقيقة، فإنه قد انضم على كثير من التعسف، والخيالات الواهية، والدلالات النائية عن العقل ولوازمه، من ذلك التفسير الإشاري ما أورده الألوسي (ت1270هـ) في تفسيره قال: ((ومن باب الإشارة في الآية ﴿ ألم ﴾ تقدم الكلام عليه وذكر بعض ساداتنا فيه أنه أشير به إلى كل الوجود من حيث هو كل لأن (أ) إشارة إلى الذات الذي هو أول الوجود وهو مرتبة الإطلاق، و(ل) إلى العقل المسمى بجبريل الذي هو وسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى. و(م) إلى محمد ﷺ الذي هو آخر الوجود وبه تتم دائرت (1)).

لم تبرأ تفاسير كل الفرق الإسلامية من هذا الحال- أعني شيوع التفاسير التخريفية التي تعتمد الخرافة، وتمتطي الغرابة- وهي الغالبة- كما أسلفت- على تفاسير الصوفية، والشيعية الإمامية، والإسماعيلية، من غير تعميم على الجميع. كما لم تخل منها تفاسير بعض من فرقة أهل السنة، لكنها- نسبياً- أقل ما ضمته تفاسير الفرق الأخرى.

تخريف التفسير -إذاً- هو ملء التفسير بالخرافات، ومزج مفهومات القرآن، ودلالات آياته بتصورات خارجة عن ضوابط العقل، والشرع. سواء من القصص الخيالي، أو الفكر الخيالي.

(1) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين الألوسي. انظرتفسيره لفاتحة سورة آل عمران.

منهجية التفسير القرآني بين النوجه النجمي، والنوجه النجمي

وإلى ذلك كله تضاف بلية جديدة، هي ما شاع من تقحمٍ لمجال التفسير من طرف بعض أدياء التجديد، ممن يرومون الوصول إلى معاني وأحكام، لم يضمها القرآن، فأكرهوه على ضمها، بتكلفت لغوية، وتعسفات تأويلية. رغماً عن أنف القرآن، ورغماً عن أنف اللغة. ولئن كانت مصيبتا التحريف والتخريف قد أصابتا كتب أهل الكتاب، فلقد أصابت كتابنا إحداهما، وهي بلية التخريف، دون التحريف. إن تعقيل الفهم إجراء علاجي مصادم لتخريفه، و تحمّل الصراع بينهما واجب من الواجبات التي تواجه المسعى التجديدي الواعي للعملية التفسيرية. في خضم تلكم الطامات التي أهرقت في تفاسير القرآن، علينا أن نوكد أن من أهد مييزات القرآن المجيد-كما ذكر الجابري- ((خلوه من ثقل الأسرار(mysteres) التي تجعل المعرفة بالدين تقع خارج تناول العقل)).(1)

الإسرائيليات:

هناك بين الباحثين اضطراب وعدم انضباط في مقتضيات الدلالة المصطلحية للإسرائيليات، حيث لا يقبل بعضهم إطلاقه على الأخبار المتناولة قصص الأمم غير اليهودية كعاد وثمرود، وكذا أخبار النصراني وعيسى ابن مريم، كذلك يرون إخراج ما كان موافقاً لصحيح النصوص الإسلامية.

ذلكم الذي نقلت مثالات له هو ما دخل نطاق المرويات التي سماها علماء التفسير بالإسرائيليات. لقد كانت الإسرائيليات هي الوعاء الأوسع للتخريف التي استوطنت أكثر تفاسير القدماء، ولم تبرأ عن بعضها تفاسير العصرين أيضاً.

(1)- مدخل إلى القرآن الكريم. الجزء الأول في التعريف بالقرآن. محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

وبرغم اجتماع كلمة علماء القرآن على ذم إيرادها في التفاسير وجد من يرى خيراً في وجودها، وهو الباحث (مساعد الطيار) الذي يقول: ((الإسرائيليات تشمل قصصاً وأخباراً عديدة منها ما هو وارد عن بني إسرائيل وما يتعلق بأنبيائهم وأحوالهم مع الأنبياء، ومنها ما لا يتعلق بأنبيائهم؛ كأخبار قوم صالح وهود وشعيب، وهذا القصص يدخل في الإسرائيليات من باب التغليب كما أشار إلى ذلك الشيخ الذهبي، وهذا يدل على كون مفهوم مصطلح الإسرائيليات لم يزل غير محدد بصورةٍ بَيِّنَةٍ، وبغض النظر عن ذلك إلا أن قَصْر مفهوم الإسرائيليات على أنه خرافة وأساطير مشكِل، بل إنَّ فيه طعنًا خفيًا في المفسِّرين بأنهم نقلوا أمورًا خرافيةً بلا وعي⁽¹⁾.

ولا يغيب عنا أن الإسرائيليات ليست كلها شاملة لهذا الضرب التخريفي، بل فيها قصص موافقة لما في القرآن كمقاطع طويلة من قصة مريم، وقصة يوسف، ولبعض ما رواه نبي الله⁽²⁾. وكلامي السالف متعلق تحديداً بما شملته الإسرائيليات من خرافات سميحة، ومسيئة للعقل وللأنبياء. والتي نرى من باب حسن الظن بناقلها أنها نقلت لديهم بحسن نية وبلا وعي، وإلا إن كان نقلها تم بتقصيد ووعي فتلك بلية طامة أدهى وأشنع.

يرى بعض الباحثين في التفسير انطواء الإسرائيليات على منافع تفيد العملية التفسيرية، وهي:⁽³⁾.

أولاً: توجيه الآية لمعنى محتمل لها: بعض الآيات هي مما لا يمكن فهمه بصورة دقيقة إلا من خلال المرويَّات الإسرائيلية. فتفسير فتنة داود وسليمان وغير ذلك لا يمكن أن يُعرف معناه إلا من خلال ما أورده السلف وذكروا فيه روايات إسرائيلية.

(1) - حوار معه أجراه مركز تفسير للدراسات القرآنية .

(2) - ينظر تقسيم ابن تيمية للإسرائيليات ثلاثياً ثلاثة أقسام: ما يوافق شرعنا، وما يخالفه، وما لا يوافق ولا يخالف.

(3) - الكلام للدكتور مساعد الطيار: في لقاء معه أجراه موقع (تفسير للدراسات القرآنية) www.tafsir.net

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

ثانياً: تعيين المهمّات: تعيين المهمّ أصله في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث بيّن لنا المهمّ في قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف وسَمَّاه بأنه الخَصِر.

ثالثاً: معرفة سبب القصة: فالقرآن يُورد أمورًا لا يُعرَف سببها، كما حكى لنا في قصة داوود وفتنته وإيراد الإسرائيليات يبيّن لنا الأسباب التي أفضت لوقوع الحدث.

رابعاً: تفصيل المجمل: وهذا هو الغالب والمشتهر، ومن ذلك ذكرهم للقصص في الضرّ الذي أصاب سيدنا أيوب وغير ذلك.

هذه النقاط الأربع التي ذكرها الدكتور (مساعد الطيار) بصفتها وجوه انتفاع بالمرويات الإسرائيلية.ولست أبتغي بسط الكلام في التعليق عليها ومناقشتها فالمراد من هذا الكتاب لا يتيح مندوحة واسعة لذلك. لكن حسي أن أقول لو وجد المفسر حاجة إلى تعيين محتمل، أو توضيح مهمّ، أو تفصيل مجمل، أو معرفة سبب قصة، فلا حرج في اقتباس ونقل ذلك من أي رواية إسرائيلية، أو نصرانية، بشرط أن تخلو من السماجة المعنوية، والشناعة الخيالية والمسيئة لمقام الأنبياء الكرام.

أما أن يفتح المجال بحيث تصير كتب تفسير القرآن بمكانة مكبٍ لنفايات بني إسرائيل فهذا منكر، يجب تنزيه تفسيرات القرآن عنه، وغسلها من أدران تلك الأساطير البشعة، على نحو يماثل إزالة النجاسة عن ثوب المصلي.

وليس يسوّغ لنا التهاون في هذا الواجب أن كثيراً من أسلافنا المفسرين -رحمهم الله- قد حشدوا تلك المرويات في تفسيراتهم، وأحلّوها محل الرضا وسط مصنفاتهم.

منهجية التفسير القرآني بين النوجمة النجميدي، والنوجمة النجميدي

ففي كثير من حالات تفصيل المجمل، وتعيين المهم، وإيراد الأسباب من كتب أهل الكتاب نجد التفاصيل

بشعة شوهاء، سميحة مسيخة، غير لائق تناولها ولا تداولها. كما هو مثلاً تفصيل مجمل حكاية سيدنا سليمان

مع الجن. ومجمل لقائه ببلقيس، وتفاصيل مرض وابتلاء نبي الله أيوب، وابتلاء نبي الله داود.

الخاتمة

هنا نقفل بحثنا في عالم التفسير القرآني ومناهجه، وإشكاليات وقضايا التعامل معه، فهماً، وتدبراً، وتفعيلاً، وتجديداً. وقد بدرت أثناءه نتائج تمثل زبدته الناتجة عن مخض مباحثه، وتدبر أفكاره. تلك النتائج هي التالية:

1- إلى جانب تفاسير نافعة سطرها بعض علماء السلف، ابتلي القرآن لقرون طويلة بسيطرة مسلك تفسيري تجميدي لم يتح لغيره العمل، بسبب منهج التقليد والاجترار، الذي أنتج ركاماً من التفاسير التي حولت القرآن إلى مزقٍ لا يربط بينها رابط، ولا ينبط وسطها نابط. بل حولت النص المجيد إلى صحراء قاحلة، ومفازة ماحلة، لا مطمع فيها لعقل عاقل، ولا رواء فيها لحيرة سائل.

بل صار النص المجيد في تلك التفاسير إلى معانٍ عائرة. وتشاريع مائلة، لا وشيجة تربطها بحكمة لله تعالى ذكره، ولا أثارة فيها لحكمته تسامى عزه؛ فوهن -نسبياً- تأثيره في الناس، وبدل أن يكون عالماً بقلوبهم، جعلوه عائقاً بطريقهم. هذا الحال الكئيب لم يخفف من شدته إلا بعض التفاسير النافعة التي أبدعها ثلة من علماء هاته الأمة قديماً وحديثاً.

2- زاد اغتراب القرآن عن واقع الناس، وطلاب العلم، بعد ظهور كثير من المتطفلين على ساحة علومه، وفي ميدان تفسيره، من بعض الحُدثاء المغترين بمناهج حديثة لم يحسنوا فهمها، فأساؤوا تطبيقها، وجعلوا من ساحة القرآن مندوحة لاستعراض المهارات الموهومة، وادعاء الكشوفات المزعومة.

3- التفسير والتأويل كل منهما منهج أصيل في مقارنة وفهم النص المجيد، بيد أن التفسير تعرض لقرون من التجميد؛ فوهن دوره ونفعه.

منهجية التفسير القرآني بين النُجْمِ النجمي، والنُجْمِ النجمي

أما التأويل فتعرض حديثاً لتجديد نظري وتطبيقي، أزرى به وصيره وسيلة لتعتيم القرآن، وتعويم تشاريعه .

هذا فضلاً عما أصابه من قديم، مع عبث الباطنية وغلاة الصوفية ، وبعض الفرق الإسلامية غير النقية.

4- التدبّر المقصود في القرآن المجيد معناه التأمل المرَكِّز بطبيعةٍ عقليةٍ فطريةٍ سمحة ، تحت أضواء

النصوص النبوية ، واستئناساً بكلام أسلافنا من أهل العلم. فهي عملية تدبُّر غير غائمة، ولا عائمة، ولا

عادمة، ولا متكلفة.

5- لن يكون في مصلحة القرآن أن يظل أسيراً لمنهج التفسير التقليدي وحدها ، بل يجب الاستعانة

بمستحدثات المناهج والنظريات الحديثة في اللغة، والدلالة، والأصوات . لكن على بصيرة ، من غير اغترار

بالحديث لمجرد حدائته .

6- ليس في الصواب إطلاق الأحكام التقييمية على التراث التفسيري ومناهجه من غير تدقيق وتفصيل ، وكذا

ليس في الإنصاف إزجاء نقود رافضة لكل مستحدث من الآراء والمناهج الطارفة ، لمحض حدائتها.

ليس في الصواب الدعوة إلى قطيعة مع التراث التفسيري الذي خلفه السلف، بل إن ذلك التراث التفسيري هو

ثروة غالية، وكنز ثمين، يجب التواصل معه، والامتياح من ينابيعه، والاستنارة به، لكن على نحو واعٍ متبصّر،

لا يقود إلى الجمود، وإلى كبت ما منَّ الله به علينا من نعمة الفهم، والعقل، والتدبر، والنظر.

لا يزال القرآن المجيد متنازِعاً بين اتجاهين : تجميدي ، وتجديدي . من غير أن يحتوي كل منهما على صفات

ومقتضيات الخطأ كاملة، ولا على عناصر الصواب كاملة ، بل احتوى كل توجه منهما على عناصر نافعة، إزاء

أخرى ضارة، ليست في صالح كتاب الله العزيز .

الفهرس

5.....	المقدمة.....
7.....	التمهيد.....
7.....	القرآن بين التفسير والتأويل
19.....	الفصل الأول.....
19.....	التنوعات المنهجية التفسير
25.....	الفصل الثاني.....
25.....	موارد تفسير القرآن.....
29.....	المورد الثاني:.....
44.....	"توجهات التفسير ".....
48.....	الفصل الثالث.....
48.....	منهجية التفسير بين التجميد والتجديد.....
68.....	العملية التفسيرية بين الانغلاق والانفلات:.....
72.....	وظائف المفسر.....
87.....	الخاتمة.....
89.....	الفهرس.....



المحفل العلمي الدولي



يُعد "المحفل العلمي الدولي" وعاءً علميًّا خاصًّا بأعضاء منصة أريد، يستوعب ما يمكنهم القيام به من أنشطة وفعاليات علمية، وثقافية، وفكرية، وتواصلية، تُحقِّق الفائدة للمنصة وأعضائها في ضوء ما أقرّه أعضاء اللجنة التحضيرية لهذا المحفل من قيم، ورسالة، ورؤية.

منصة أريد العلمية

ARID Scientific Platform



منصة أريد هي منظمة غير ربحية تتيح التسجيل المجاني لتحقيق أهداف علمية متعددة الأوجه. تم تأسيسها من قبل باحثين وخبراء مهتمين بتطوير البحث العلمي.

مقرات المنصة: بريطانيا - ماليزيا - العراق - تركيا (13467806) ARID SCIENTIFIC LTD
All rights reserved - Address: 128 City Road, London, EC1V 2NX

● للتسجيل مجاناً في المنصة WWW.ARID.MY



Arid



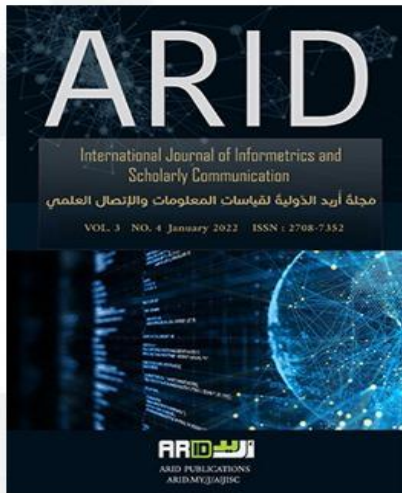
Arid

مجلات أريد الدولية

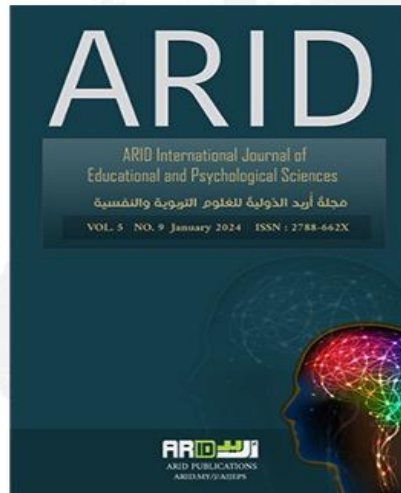
مجلات علمية تهدف الى الرقي بالمستوى العلمي
للناطقين باللغة العربية

WWW.ARID.MY

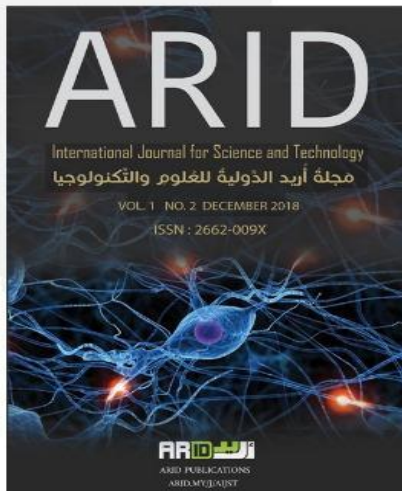
مجلة أريد الدولية لقياسات
المعلومات والاتصال العلمي



مجلة أريد الدولية للعلوم
التربوية والنفسية



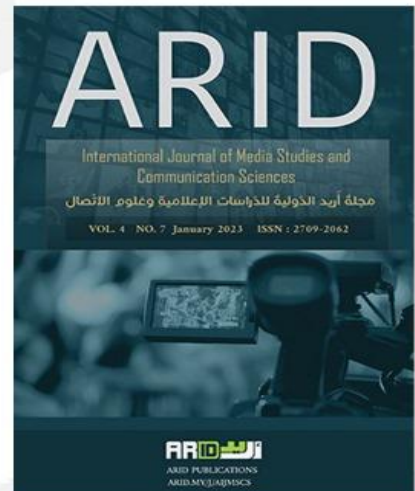
مجلة أريد الدولية للعلوم
الإنسانية والاجتماعية



مجلة أريد الدولية للدراسات
الإعلامية وعلوم الإتصال

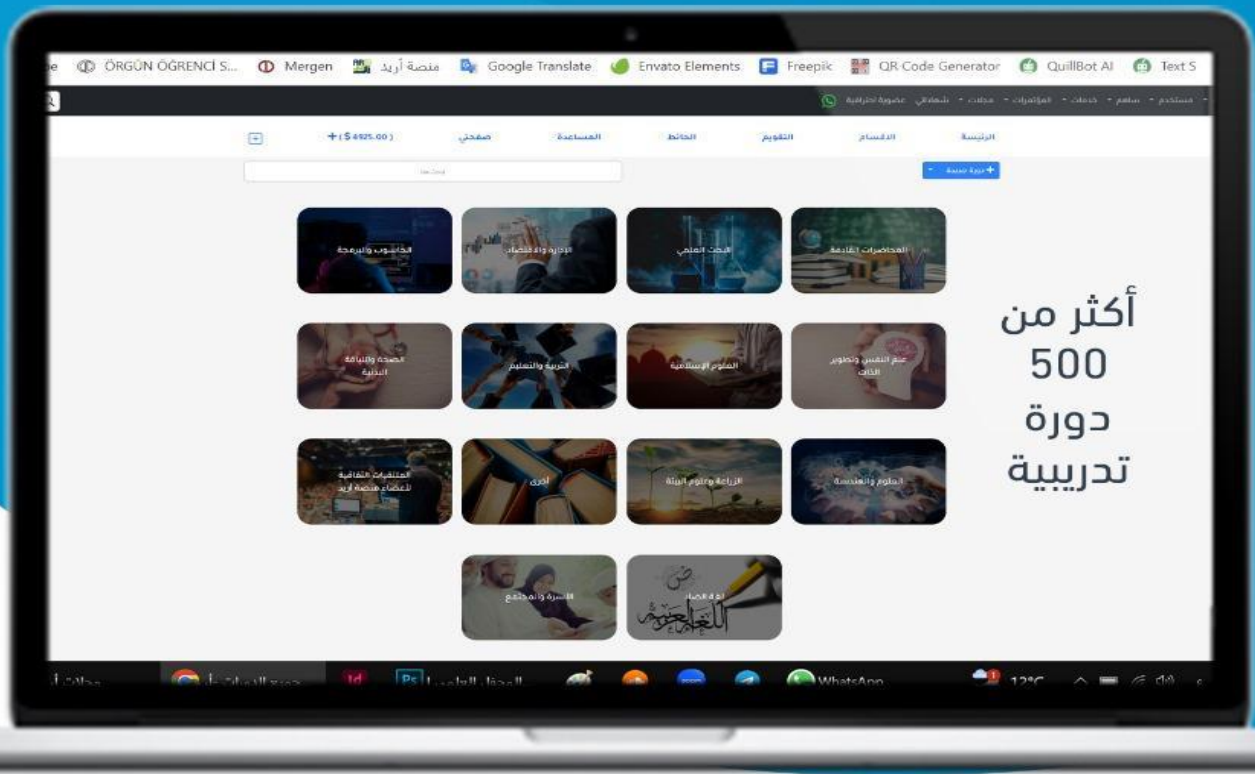


مجلة أريد الدولية للعلوم
والتكنولوجيا



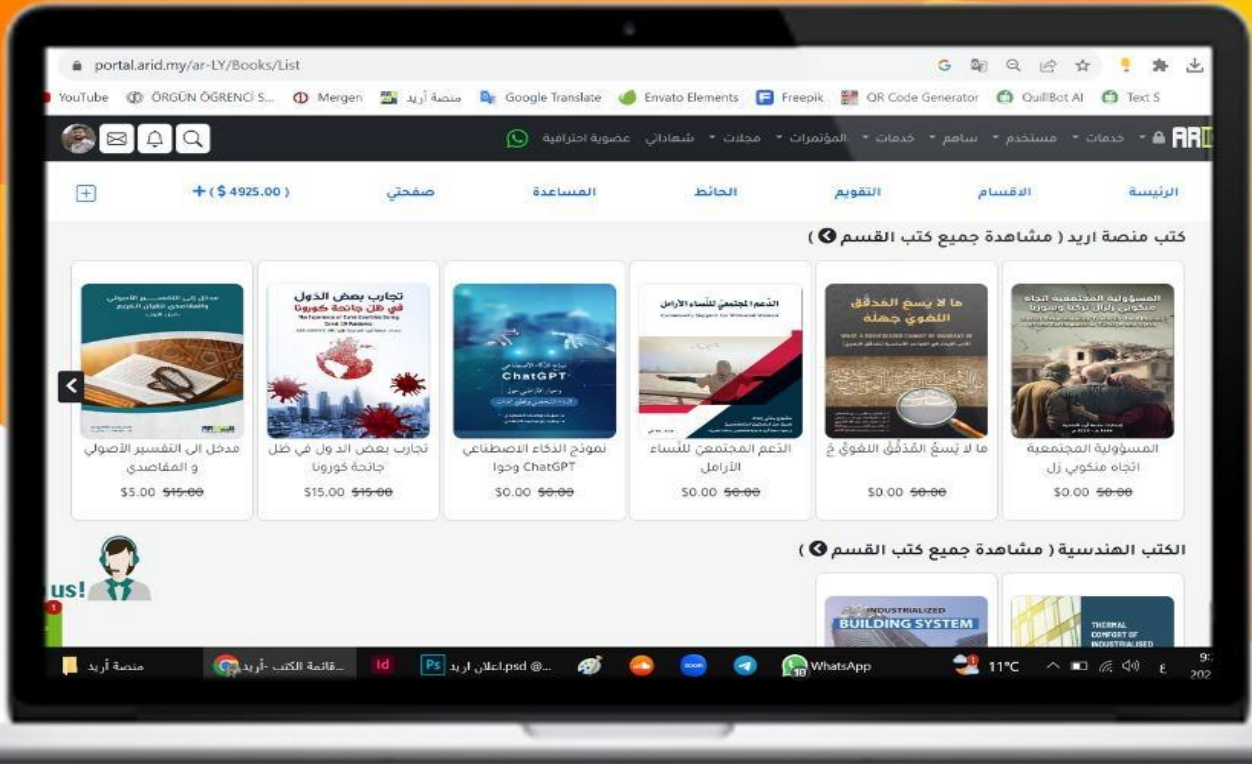
نظام عليم للتعليم الالكتروني في منصة أريد العلمية

أكثر من 500 دورة تدريبية ومحاضرة علمية



المكتبة الرقمية في منصة أريد

مكان واحد لجميع إصدارات أريد العلمية



الموقع الرسمي للمكتبة الرقمية

portal.arid.my/ar-LY/Books/List



أريد ARID
Arabic Researcher ID

WWW.ARID.MY

أوسمة منصة أريد العالمية

سجل في منصة أريد العلمية واحصل على الأوسمة العلمية مع الشواهد وكتب التأييد

منهجية التفسير القرآني

بين التوجه التجميدي، والتوجه التجديدي

د. خالد إبراهيم المحجوبي - جامعة صبراته

يعمد هذا الكتاب إلى تشخيص التوجهات التفسيرية، ثم توجهات العلماء والمفكرين من حيث نظرتهم إلى الحصلة التفسيرية، والتراث التفسيري بما انضم إليه من تفاسير متباينة الموارد والسواقي، منتهجاً المنهج الاستقرائي الوصفي، مشفوعاً بالمنهج النقدي، في سياق تقويمي تقييمي.